

الميسرة رفع الحمل
غفر الله له ولوالديه

في
البلاغة القرآنية
أسرار الفصل والوصل

دكتور صباح عبيد دراز

الميسرة رفع الحمل
غفر الله له ولوالديه

٢١١،٧
ص.ب. بيل

الميسرة
غفر الله له ولوالديه

دكتور صباح عبيد دراز

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

في
البلاغة القرآنية
أسرار الفصل والوصل

الطبعة الأولى

١٩٨٦ - ١٤٠٦ هـ

مطبعة الأفانين
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

الميسرة
غفر الله له ولوالديه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد :

قد أنزل الله قرآنه العزيز ، بهذه اللغة الشريفة ، فذبحها جانباً من
الإيجاز والخلود ، وأعطى أديباها دفعة أن يتحركوا - ما وسبهم الجهد
والطاقة - في هذا المدى المتطاوّل فيما دون الإيجاز ، وهذا دال ، على
ما لهذه اللغة من خصوبة وغنى بأسرارها وأنها نبع ثر لا يفيض ، يسمع
القرائح والمواهب والعقول .

وعلى كثرة ما قام به علماء العربية - على مدى الأجيال - فما زالت
في حاجة إلى عقول كبيرة مخلصّة تكشف مزيداً من أسرارها ، وسنات
تراكيها وطرق أدائها في شعر شعرائها ونجاج أديبائها ، شاعرا شاعراً وكتابا
كتاباً ، وصولاً من الخاص إلى العام أعني الجمع بين السمات الخاصة وصولاً
إلى السمات العامة للعربية ، لكن يبدو أن هذا مطمح غير قريب .

وإذا كان هذا شأن اللغة في إطارها العام فإن اللغة القرآن الكريم
شأناً أكبر وأخطر ؛ فما زالت قضية الإيجاز البياني من أم القضايا التي
تستفرغ جهداً جهيداً . وما زالت المناهج - على كثرتها - تحاول أن تقدم
جديداً . وأعني بالمناهج ما استقر منها على أصول ثابتة وقوانين ماثلة ،
وما التحم بالتراث بفضفه ففضاً - كما يقول بعض المعاصرين - ويستثمر مافيّه

من قيم جليلة ، وهي كل متماظم ؛ ذلك أن التواصل بين الجديد والقديم
ما زال قويا طالما أننا نكتب فنيا بذات اللغة التي كان يكتب بها القدماء
وهي اللغة التي تجمع بين العربي وأخيه العربي مهما تفاوت بهم الدار .

أعني بذلك أن المصطلح الذي لم يستقر والذي ملازمت في دور الحداثة والتجربة
وتحديد المصطلح لا ينبغي أن تكون أملا لمباحث جاء يحاول جدولا
في اكتشافات أكثر من الإيجاز فهو سميت اللغة حيويا .

ولأن اللغة العربية قد منحتها القرآن صيغتها الثمالية التي تترسم قولتين
وأظرا عامة ؛ بها تكون اللغة في البنية والمهيئة والتركيب ، وهي بذلك
قوة خالدة تتجلى عن سائر اللغات التي هي في تغير مستمر ، وتطور وتقلب
نطقا ، ودلالة ، وهذا سبب في أن القاري ، العادي قد يفهم شعرا الجهليل
وزهير وحميد بن زهير وجميل بن ميمون وما كتبه بن جوفسون وشيكسبير
ومن في عصرهم شرقا وغربا ليس واضحا عندهم ؛ بل لا بد من تبسيط أقرب
إلى الترجمة . وطالما أن انتم في تغير فنناهم أيضا .

وانظر - مثلا - إلى الأسلوبية - وهي منهج يتكىء على اللسانها ثم
ينظر إلى البعد الأدبي على استحياء - نجد إلحاحا من بعض الباحثين - على
المداحة الغربية - عليها ومع اعترافهم بأنها ما زالت في طور التخلق والمحاولات
والاجتهادات التي تختلف في تديد مصطلحها ، اختلاف البيئات واللغات ؛
مابين الفكر الروسي والنشيك والاسريكي والأوربي عموماً ؛ مع كل ذلك
تجد هذا الإلحاف على الفكر العربي المعاصر بهذه الأسلوبية . وإنك لتقرأ
لأحد الباحثين بهذا تفرى من التفسيرات واليقابلات والمعرضي

بؤا اصطلاحات الفنى يختلف فيها اللزجوف فبهذا الأسلوبية النشروية بالذاتية
والصورية والوصفية ، الخ . . ثم إن بعضا من يكتب فيها بأن أسلوبه
فى غموضه وإبهامه ما يترجم إلى العربية من مقالات الأسلوبية أنفسهم
بما شكك منه أدباء وناقاد كبلو .

لكن المثير حقا هو أن الباحثين أو قائل الناقدين العرب لا يرى أن أسلوبهم
هتلة بين التراث العربى والأسلوبية ومعهم حق . ذلك أن اهتمامهم بالظاهر
من الأسلوب ألا كان ولو نطق به ريفى على مدار سائيتيه ، وهم فى غفلة
لذلك مع الحذف والتقدير بل مع اللحاة والبلاغيين على السواء جميعا .

وقد نجد من تحمله حماسه من الباحثين على عقد موازنة بين البلاغة
العربية عند السكاكى أو عبد القاهر وبين الأسلوبية أو بين عبد القاهر
وتشومسكى أو من يحلل شعرا لشوقى أو غيره تحليلاً أسلوبياً بنهوىا يصطنع
فيه المنهج الرضاى فهذا بعيد عن عالم النقد والجمال بمراحل .

وقد رأينا منهم من استثمر إشارة لبعض الغربيين فى العفوقا يول
مؤدى « الوار » حرف العطف فى الكتاب المقدس عديم وببده فى شعر
بعض شعرائهم فعالج حرف العطف فى القرآن من منطلق أسلوبى جده فيه
ببجهيل المفسرين والنحاة والبلاغيين وبخاصة عبد القاهر - الذى أخطأ -
من وجهة نظره - خطأ كبيرا حين أقام دعائم للنظم فى نظرية
متكاملة .

هذه نماذج نذكرها ، وفيها قدر من الخطر على الناشئة لأنها تقدم
كبيدات بنينا هى عند أهلها محاولات ومجازبات .

تعالوا لنفكر في الدين لنفكر في العلم على الجديد - على إطلاقة - بل يفكر فيه
بعض قائلين بالجدور ضاربة في القديم أو لم يكن في خدمة التراث إضافة
بمستقلة

ولا بأس أن تعالج الأسلوبية - على فرض وصولها الى مستوى العلم -
من خلال علم اللغة المقارن أو حتى اللغة - المقارن أما أن تكون ضمن
البيدولوجية الحديثة التي هي في أحسن مفاهيمها نصف الماضي بما فيه
وطبق يقوم عليه فهذا مما لا يسكت عنه ، ولهذا موطن آخر .

ونعود ليقول : ان البلاغة القرآنية ما زالت منطوية على أسرار بكر
عدا أن كثيرا من موضوعاتها ، لا تجد حوله إلا شذرات ولقعات وخواطر
يستضاء بها .

وإليك مثلا موضوع الفصل والوصل في القرآن ، فقد جهد الإمام
عبد القادر في تتبع ذلك ، وبخاصة ما تذكر فيه الواو وما أتت في الجمل
التي لا محل لها . لأنها المواطن التي تحتاج قدرا من الفكر وإعمال الذهن
وكان كلامه - رحمه الله - في - أية الاجتهاد لعقله الكبير وقلبه الملهم ،
خوض من القوانين ما لم يصف إليه المتأخرون إلا هذه المباحث القيمة في
عطف المفردات ، امتدى الى جوانب منها الزمخشرى والسكاكي والسهمي
توالزاي ، وأبو حيان ، وعندهم أخذ الزمخشرى والعلوى والسبكي ،
وأصحاب التقارير .

ولكن بقيت هناك ، جوانب خطيرة منها : قضية عطف الخبر على
الإنشاء أو العكس ، وعطف المؤكد ، وجمع في المفردات أو الصفات التي

جاءت في مواطن متواليه دون عطف وفي أخرى مطوفا بالوارء ، وأسرار ذلك بلاغيا ، تلك الأسرار السكامة وراء العطف أو تركه ووراء عطف المتخالفات لإنشاء وخبرا أو ترك العطف حسب « قانون كمال الانقطاع » في الأمم الأغلب .

وغير ذلك من التضاؤل التي يساورها - في أناة وريث - هذا البحث - مؤملا في الله التوفيق والسداد والرفع والرشاد .

والله ولي التوفيق ؟

صباح عبيد دراز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين آمنوا من عباده الذين آمنوا
والذين آمنوا من عباده الذين آمنوا
والذين آمنوا من عباده الذين آمنوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين آمنوا من عباده الذين آمنوا
والذين آمنوا من عباده الذين آمنوا
والذين آمنوا من عباده الذين آمنوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين آمنوا من عباده الذين آمنوا
والذين آمنوا من عباده الذين آمنوا
والذين آمنوا من عباده الذين آمنوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل والوصل :

لعل الوصل والفصل بمعنى معرفة المواطن التي تقتضي العطف أو تركه من أقدم الاصطلاحات الفنية التي تنبه لها العلماء في فجر التأليف البلاغي . أما إدراك هذه المواطن عند العرب فقد كان سليقة وفطرة ، بمعنى أن الأسلوب الخاص الذي يقتضي الواو مثلا أو تركها كان يجري في التعبير على نحو تلقائي لأنه معبر عن وجدانهم وفكرهم ، والواقع أن ما يكن في اللغة ، من نظام متكامل نحوي أو بلاغي مما يمثل عبقرية هذه اللغة ، لم يكن نهجا عقليا صارما عند العرب فحسب ، بل كان حياة كاملة . أعنى تصويرا لمواطنهم وأحاسيسهم ومناحي تفكيرهم : فإدراكهم للأصاليب كان حسا وجدانيا قبل أن يكون نظاما عقليا أوهما مما في تداخل لا انفصام فيه . تأمل ما جاء في الأثر حين سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلا « هل تبغ هذا الثوب قال لا عافاك الله » فقال أبو بكر لقد علمت لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله «^(١)» يعني أن الواو هنا تفصل بين جملتين الأولى منفية وهي جواب عن سؤال ، والثانية دعائية فيها أدب التعبير وسمو الذوق والخلق . ولو حذفنا لأوهمت العبارة تحول المعنى من الدعاء له إلى الدعاء عليه ، وهو عكس ما يتطلبه المقام ، ولأثر الواو في مثل هذه الأصاليب بياننا للمعنى دون لبس وتجليئة للاحساس دون خلط بل توقف ذلك على ذكرها ، صورها

(١) وراجع البيان والتبيين ١/٢٦١ .

(١ - الوصل)

للصاحب ابن عباد في تعبير شعري بأن الوار هنا أحسن من الواوات على حدود الملاح يقصد خصلاات الشعر الملتوية المعقوفة على أصداغ الحسان وهو بهذا يعطى الوار بعداً جمالياً فنياً^(١).

وقد قلنا إن في هذه اللغة نظاماً عبقراً متكاملًا تشترك علوم العربية في الكشف عن أسرارها ومكنونتها، ونظن أن العلماء في اللغة والنحو والبلاغة والنقد والأدب وغيرها قد أتيج لهم أن يكتشفوا قدرًا أكبر من جوانب هذا النظام، وما زال في اللغة جوانب تنتظر المزيد من الجهد والكثير من المناهج.

ولا شك أن هذه اللغة الشريفة بأدواتها وألفاظها وتراكيبها ومناهج القول أو وسائل الأداء فيها ونسجها قد أعطت الأطر العامة للتعبير وتركت للأديب حرية التعبير بما يصطنع من وسائل تتعدد بتعدد الطبائع والمواهب وهذا سر خلودها. ودع عنك من يقول بثباتها فهذا الثبات إن كان فيما تقوم عليه من قوانين عامة تشمل الوجدان العربي والفكر العربي المستمر فهذا صواب، وإن كان في وسائل التعبير ومناهج القول وطرق الأداء، وهذا ما يقصده المستغربون فهو باطل داحض الحجة؛ لأنها وسعت آلاف الشعراء والكتّاب والأدباء، ولكل وجهة وتسمع غيرها آلافا وآلافا. وإذا فمن يريد التجديد حقاً فأمامه مجال الوسائل الفنية محكوماً بالأطر العربية أو قوانين العربية. ذلك أن التجديد ينبغي أن يكون من داخل اللغة ذاتها وهي مرنة كما قلت ولأن اللغة تمثل نظاماً دقيقاً وبنياً محكماً وهدفة مكتملة نجد أن كل محاولة. أو دعوة زنيمة لتجديد اللغة العربية في قواعدها

(١) درة الغواص للحريري ٣٦.

أو قوانينها بإدخال بعض المفاهيم الغربية الغربية أو الشرقية عليها بادعاء تطويرها إنما يقوم بذلك إما شعوبى حاقد أو لمجد ما كثر أو جاهل إهانة، لأن عملية التطعيم هذه تشويه للفكر والحسن العربي، أو إحداث خلل في منايح اللغة من فكر وعاطفة وهو أمر تأبى عليه اللغة العربية منذ بدء الفسز والتفاني من أعداء العروبة وأتباعهم المسوخين، والواقع أنه لكي تقبل اللغة ما هو غريب عنها ينبغي أن يتفادوا العالم العربي إلى الغرب أو الشرق أو ينقلوها إليه، إذ كل كلمة في العربية لها دلالتها وارتباطها بالبيئة والعرف والتقليد والثقافة والدين، فهي أشبه بلامح الوجه وسواد العين وجمودة الشعر أو استرساله وسمرة البشرة مما هو داخل في سنن الوراثة وإن يتحول عبد الله العربي إلى مستر « جاكسون أو جهلاخوف » بجرة قلم مفرض .

وإطالنا هنا عن قصد لأننا وللنا من هذه الدعاوى التي تلبس كل يوم زياء، وسنمنا من دعاة الأصولية والحدائث في إلخافهم وإلحاحهم وحرهم للعربية والمجيب أن بعض تلامذة الأصولية يحاولون تطبيق بعض مفاهيمها الآن مع الأساليب القرآنية، في محاولات فجة رديئة، تأبأها اللغة والحس العربي والإسلامي .

والصلات أو العلاقات أو وسائل الاتصال بين الأناظ في الجملة وبين الجمل في النسق القرآني وكذلك بين المعاني القرآنية أشمل وأعم من الوصل بمعناه البلاغي، ذلك أن الوصل بمعنى العطف بين المفردات والجمل في مواضع المعروفة، وكذلك الفصل أيضا بمعنى ترك العطف لشدة الاتساح والاتصال بين العبارات والجمل بأن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال نشأ من

الجملة الأولى أو تأكيداً لها أو بياناً أو بدلاً إلى غير ذلك من مواطن الفصل المهددة إنما ذلك ، أعني الفصل والوصل ، من وسائل الاتصال والالتحام بين الأساليب ، تلك التي تشمل عدداً من الصور التعبيرية ووسائل الأداء كأدوات الربط والشرط والتقابل بين المعاني أو التناظر أو التفريع مما اجتهد في تحليته علماء المناسبات أو التناسب بين الآيات والسور تلك ألف فيها العلماء بمحوثا كإنا كرماني والسيوطي وطبق ذلك باستقصاء وعمق وحسن تأت الإمام الرازي في تفسيره والإمام البقاعي في تفسيره أيضاً . على أن للقرآن خاصية غريبة هي أن القرآن الكريم - كما يقول العلامة الشيخ محمد عبد الله دراز - حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتى يبرزها في صورة مؤتلفة ، وحتى يحمل من اختلافها نفسه قواماً لا ثقلاً . وهذا التأليف بين المختلفات مازال هو العقدة التي يطلب حلها في كل فن جميل وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة ودقة الذوق في تلك الفنون والصناعات ^(١) ثم قال الشيخ رحمه الله « وعلى هذه القاعدة ترى القرآن يعمد تارة إلى الأضداد يجاور بينها فيخرج بذلك محاسنها ومساوئها في أجلى مظاهرها ويعمد تارة أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفسها من غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها يسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاحتراس إلى غير ذلك . وربما جعل اقتران معنيين في الوقوع التاريخي ، أو تجاور شيئين في الوضع المسكاني دعامة لاقترانهما في النظم ، فيحسبه الجاهل بأسباب

(١) راجع البيا العظيم ١٦١

النزول وطبيعة السكان خروجاً وما هو بخروج وإنما هو إجابة لحاجات النفوس التي تدعى فيها تلك المعاني فإن لم يكن بين المعنيين نسب ولا ظهر بوجه من هذه الوجوه ونحوها رأيتها يتلطف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر، إما بحسن التخلص والنهيد، وإما بإمالة الصنيع التركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان ويتصافح فيه المتناكران. « على أن روعة النظم القرآني — كما علمت — لا تقوم دائماً على حسن التجاور بين الآحاد، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعاني، ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها فيكون حسن الموقع في التجاور بين الطائفتين موجبا لحسن المقابلة بين الأوائل من كل منهما أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأول من هذه والأخر من تلك» (١).

وفي هذه الفقرة الجامعة لا يقتصر التناسب على الجامع العقلي أو الوهمي أو الخيالي بل يتعداه إلى تداعي المعاني في النفس أو نوع من الجامع النفساني العام الذي ينتظم النفوس البشرية. وهذا غير ما يروج له دعاة الشعر الحر من الجامع النفسي الخاص بالشاعر، وهو لون من التهويمات أو مقاطعات المقل الباطن أو اللاوعي، مما يدخل تحت أحلام اليقظة وخيالات المرورين ثم إن الشيخ رحمه الله نبه إلى ضرب من التقابل، وهو وإن كان داخلاً تحت الجامع العقلي يوصى إلى تقابل الأحداث ومجرعاتها، أو التماذج وما يتعلق بها. كما ضرب لذلك مثلاً بعد في قوله تعالى: « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (٢) بعد آيات الملتزمين

(٢) البقرة ٥

(١) المرجع ١٦١ - ١٦٢ .

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » الآيات^(١)
فلم يأت المطف - كما يأتى في عطف التقيض على تقيضه - إذ لم يقصد
اقتزال الحديثين من أول الأمر بل على وجه يبنى فيه بعض الكلام على
بعض إجابة لهذا السؤال الذى نطقت به الحال وهو الاستثناء البياني
أو شبه كال الاتصال .

وقد اجتمع هنا التقابل مع شبه كمال الاتصال تأكيذا للاتصال ولونا
من ألوان التصوير بالطباق . وتداعى المعانى هذا سماء سيد قطب رحمه الله
بالتناهي النفسى . وامل من أوائل من تنبه له الزحمرى في تفسير الفاتحة^(٢)
ثم إن هذا التقابل طريقة من طرق التصوير والتلحين كما ذكر سيد قطب
يكثر التعبير القرآنى من استخدامها في تنسيق صورته التى يرسمها بالألفاظ
على نحو دقيق^(٣) .

والواقع أن العلماء في جمهورهم يركزون على قضية التناسب التى لا تختلف
في القرآن الكريم بل ربما كانت شمل بعضهم الشاعل كالرازى والذيسابورى
وابن العربى والبقاعى والشاطبى ، وهى قضية أثارها العلماء من قديم حين
علمن بعض الملحدين في فكرة التناسب في القرآن في بعض الآيات كما في
قوله تعالى : « كما أنزلنا على الملقمين الذين جعلوا القرآن عضين »^(٤)

(١) البقرة ٢ - ٥

(٢) راجع التصوير الفنى ٢٨ ، ٨٨ والكشاف ١/٦٤ .

(٣) راجع التصوير الفنى ٩٦ .

(٤) الحجر ٩٠ .

(١) سورة البقرة الآية ٢

وقوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق »^(١) وقوله تعالى :
« لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » ؛ مما أهتم الخطابي
بالرد الممنوع عليه واهتم به العلماء في التفسير وعلوم القرآن . والآيتان الأولى
مبينتان على الإيجاز وهو شجاعة العربية وسر جمالها ، أى أنزلنا عليك
كتابا كريما كما أنزلنا التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى الذين
اقتسموا كتبهم فأخذوا ببعض وتركوا بعضا ، ثم قالوا فى عناد : إن بعض
القرآن حق موافق للتوراة وبعضه غير ذلك فاقسموه وعضوه . وفى آية
الأنفال : أوحينا إليك قصة الأنفال بحق وهم له كارهون كما أخرجك
ربك من بيتك بالحق لاعتراض العيرسبيا فى غزوة بدر الظافرة وكانوا
لذلك كارهين . ووجه الشبه : ظهور الحق وجليل أثره بعد كرههم له .

وفى آية القيامة : بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره
لا تحرك به لسانك^(٢) فيه عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره
كما ذكر الخطابي : كقولك للرجل وأنت تحذنه فيشتغل عنك بما يظنه
مهما : أقبل على ونحوه ثم تصل حديثك ولا تكون بذلك خارجا عن
الكلام بل مستوصلا له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ
وكان إذا نزل القرآن يحرك به لسانه مخافة أن يتفك منه كما روى عن
ابن عباس فقيل له تفهم ما يوحى إليك ولا تتقلبه بلسانك فإنما يجمعه لك

١- قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » (١) وقوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » ؛ مما أهتم الخطابي بالرد الممنوع عليه واهتم به العلماء في التفسير وعلوم القرآن . والآيتان الأولى مبينتان على الإيجاز وهو شجاعة العربية وسر جمالها ، أى أنزلنا عليك كتابا كريما كما أنزلنا التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى الذين اقتسموا كتبهم فأخذوا ببعض وتركوا بعضا ، ثم قالوا فى عناد : إن بعض القرآن حق موافق للتوراة وبعضه غير ذلك فاقسموه وعضوه . وفى آية الأنفال : أوحينا إليك قصة الأنفال بحق وهم له كارهون كما أخرجك ربك من بيتك بالحق لاعتراض العيرسبيا فى غزوة بدر الظافرة وكانوا لذلك كارهين . ووجه الشبه : ظهور الحق وجليل أثره بعد كرههم له .

٢- قوله تعالى : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك » (٢) فيه عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره كما ذكر الخطابي : كقولك للرجل وأنت تحذنه فيشتغل عنك بما يظنه مهما : أقبل على ونحوه ثم تصل حديثك ولا تكون بذلك خارجا عن الكلام بل مستوصلا له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ وكان إذا نزل القرآن يحرك به لسانه مخافة أن يتفك منه كما روى عن ابن عباس فقيل له تفهم ما يوحى إليك ولا تتقلبه بلسانك فإنما يجمعه لك



وتحفظه عليك^(١) وقد جمع الزركشى معظم الآيات المشكلة وردد العلماء والعلما أيضاً يذكرون حسن التخلص بالخروج من الكلام إلى كلام - كما ذكر ابن الأثير - لطيفة تلامم الكلامين السابق واللاحق وقد رد ابن الأثير كما رد غيره على أبي للعلاء محمد بن غانم المعروف بالفائمي ، وكان من فضلاء عصره وشعراء نظام الملك وقد رأى أن كتاب الله خال من التخلص وأنه وقع على الاقتضاب . وقريب منه رأى العز بن عبد السلام أنه إذا اختلفت أسباب النزول فالربط بين الآي ضرب من التكلف وبخاصة أن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة .

وعن نفتح في فكرة الاقتضاب وجعلها وادها من أودية البلاغة بعد الفائمي الإمام العلوي ، وأساس الفكرة عنده أن الاقتضاب في شعر القدماء من البلاغة وكتاب الله لا واد من أودية البلاغة إلا وهو أخذ منه ينصيب^(٢) وهو رحمه الله لم يلاحظ فارقا هنا بين البلاغة البشرية والبلاغة القرآنية تلك التي كان التلاؤم والتناسب وتداخل الآيات والسور مع أنها نزلت في نيف وعشرين عاما سببا من الإعجاز الفارع وأنه من عند الله تعالى ، وقد أخذ المعاصرون على القدماء الفصل بين المعاني وعدم التناسب بينها والبعد عن الوحدة الفنية والنفسية في القصيدة اضطرابا في الفكر أو خلاا أو فتورا في الطبيعة أو توزعا للحس وما إلى ذلك . وقد رد بعض النصفين

(١) راجع في الآيات بيان اعجاز القرآن للخطابي ٥١ ، ٥٢ وتفسير
الكشاف ، ١٤٣/١ ، ٣٩٨/١ ، ١٩١/٤ .
(٢) راجع المثل السائر ١٥٣/٣ والطراز ٢/٣٣٠ ، والبرهان ١/٤٣ ،
والنبا العظيم ١٦٠ .

بأن ما يعد اقتضاباً عند كبار الشعراء الجاهليين وهم لا يفوتهم ذلك - راجع إلى الرواية والرواة وسقوط أبيات من الحفظ، والقضية ذات شجون .
المهم أن جمهرة العلماء رفضوا تماماً فكرة الاقتضاب هذه لأنها مناقضة للتلازم والتناسب واقول الله عن القرآن « ولقد جئناهم بكتاب فصلنا على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١) وقوله سبحانه « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (٢) .

الوصل بحروف المطف :

وحروف المطف غير الواو ، كالفاء و ثم وحتى ولكن ولا وبل ، لها معان خاصة كالترتيب والتعقيب والترتيب والتراخي والغاية والاستدراك والنبذ والاضراب . وهذه الحروف بمعانيها التي تقتضيها المقامات وسائل ربط أمرها بين غير مشكل .

أما الواو التي لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً بل هي لطلق الجمع أو مطلق التشريك في الحكم فهي تحتاج دقة وصعوبة وذكاء بشرطاً يعرف أمرار الكلام ومتى يقتضى ذكر الواو أو حذفها .

وهنا أمران مهمان :

الأول : أن توزيع حرف المطف في القرآن من الواو أو الفاء أو ثم واقع موقعه من الدقة والتلازم والإعجاز .

والثاني : أن تبادل الواو مع الفاء في عديد من الآيات التي تدخل تحت التشابه والمقارن ، يحتاج ذكاءً خاصاً ، وعلماً ملهماً ، في بيان أمراره

(٢) هود ٢٠٢ .

(١) الأعراف ٥٢ .

والأمران معا في حاجة إلى بحث مستقصى متأن على المهج الذي نفضل
للإفادة العلمية الثابتة ، وقد نجد أن ابن الأثير وتبعه العلوي ذكر شواهد
للأمر الأول ، وأن الاسكافي والكرمانى والرازي وبعض المفسرين ذكروا
شواهد للأمر الثاني واكتفى بنقل ذلك أو بعضه البحث البلاغي المعاصر
تحققاً والأمر كما أسلفت في حاجة إلى بحث عميق متريث ومراجعة دقيقة
نرجو الله أن ييسر لنا أو لإخواننا الأسباب .

من الأمر الأول ذكره ابن الأثير وتبعه العلوي في قول الله تعالى «والذي
هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين والذي يمتني ثم يحمين »^(١)
معطف السقي على الإطعام بالواو إرادة الجمع بينهما وعطف الشفاء على
المرض بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، ثم عطف
الثالث بثم لأن الأحياء بعد الموت إنما يكون بمهلة وتراخ^(٢) .

رقول ابن الأثير والعلوي إن تقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء
على الإطعام جائز لولا مراعاة حق النظم ليس دقيقاً لأن الاستعمال القرآني
قدم الطعام على الإسقاء والأكل على الشرب أبداً فهو ترتيب بالطبع
والأهمية والوظيفة الحيوية ، ففكرة الجواز مرفوضة وتعبير الإمام العلوي بأن
مراعاة حسن النظم والمشاكلة أوجب ذلك بلم بشيء من أسرار التقديم هنا
ولا يستوفيهما ثم إن قول ابن الأثير إن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال
من أحدهما مما يثير العجب في موقف ابن الأثير الذي يشن حرباً على الإغراق

(١) الشعراء الآيات ٧٩ - ٨٢ .

(٢) راجع المثل التسائر ٢٦٠/٢ والطراز ٢٤٢/٢ .

العقل والفلسفي في معالجة البلاغة ثم ينسى هو ذلك أحيانا، لأنه لا يمكن أن يفصل عن ثقافة عصره طوعا أو كرها، ولذا عدل العلوي هذا التعمير. ونقل عن الرازي ما يفيد مع تعقيب الشفاء للمرض التنبية على عظم المنة بالعافية بعد المرض من غير تراخ. والواقع أن هذا مقام ثناء على الله تعالى بتمداد نعمة التي توجب عبادته تعالى، ثم تمهيدا للدعاء الضارع، ولذا أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه حسن أدب وإيمان إلى ما في التفريط في المأكل والمشرب من أسباب المرض^(١).

وأسند الشفاء إلى ربه بضمير الفصل بالفاء أملا في الشفاء المحبوب وإسراعا بتعديد النعم، وثناء على الله باقتداره على الشفاء العاجل. فالفاء لم تعد تعقب الشفاء للمرض لحسب بل أفادت مع إذا أن المرض قصير تتدارك رحمة الله. بشفاء سريع لا يطول بدمه المرض. والواضح من آيات الشعراء ارتباط التعابير في حروف العطف والترتيب الزمى طولا وقصرا بهم والفاء وبارادة الجمع بالوار مع الترتيب أيضا المؤدى بالتقديم أعنى تقديم بعض العبارات أو الألفاظ على بعض. وهذا الترتيب التزمه القرآن كما سنعالج ذلك قريبا إن شاء الله.

وقال تعالى: « قتل الإنسان ما أ كفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره »^(٢).

نعطف التقدير بالفاء دون ثم لأن التقدير تابع للخلقة ملازم لها

(١) الرازي، الطب، ج ١، ص ١٤٥/٢٤ وأبا السعود ٦/٢٤٩، ص ٤٧٠، ص ٤٧٠

(٢) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣ .

(٣) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣ .

(٤) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣ .

بذلك بخلاف قوله « ثم السبيل يسره » لما بين الخلق وتيسير السبيل وهو الهداية من التراخي والمهلة ، وكذلك عطف الإمامة بـ « ثم » ، والبعث أيضاً وهو الإنشاز ولما لم يكن بين الأقبار والموت مهلة جاءت الفاء ^(١) وفي قوله تعالى « ثم إذا شاء أنشره » ثم وإذا داخلة على فعل المشيئة لبيان مدة البرزخ الطويلة وأن البعث أمر محقق وإشعار بأن وقت البعث غير معلوم لنا على التعمين ولم يقل : « فقبره » لأن القابر هو الدان بيده والمقبر هو الله تعالى يقال : قبر الميت إذا دفنه ، وأقبر الميت : إذا أمر غيره بأن يجعله في القبر ^(٢)

وقول صاحب الطراز إن قوله : من نطفة خلقه من غير واء لأنها واردة على جهة التفسير لقوله : من أى شىء خلقه ؟
يعنى أنه بيان وجواب للاستفهام التقريرى . ^(٣)

ومما جاء من ذلك قوله تعالى من قصة هريم وعيسى عليهما السلام « فعملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها الخاض إلى جذع النخلة فالت باليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » ^(٤) والفاء هنا تدل على توالى الأحداث وأن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل وهذا يؤيد رأياً لابن عباس رضى الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة واحدة

(١) راجع المثل السائر ٢/٢٦٠ والطراز ٢/٤٣ ح
(٢) راجع تفسير الرازى ٣١/٦٠ ، ونظم الدرر للبقاعي ٢١/٢٦٢ .
(٣) راجع الكشف ٤/٢١٩ والرازى ٣١/٦٠ والبحر ٨/٤٢٨ .
وإبنا السعود ٩/١١٠ .
(٤) مريم ٢٢ ، ٢٣ .

قال الرازي لأن الله تعالى قال في وصف عيسى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل وإنما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة .

وذكر ابن الأثير معنى ذلك ويبدو التفاته إلى رأى الرازي وإن لم يشر إليه وأن هذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحا أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، وربما كان في يوم واحد أو أقل .
والواضح أن الآية مرجحة لأن الخلاف وقع عند تأويلها لأن التعقيب والفور أمر نسبي ويكفي أن الرأى الثانى لابن عباس أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر لاسيما أن الانتباز في مكان قصى يقتضى وقتا وإن كان يسيرا كما رجح الرازي (١) .

ومن الأمر الثانى الذى تلبس فيه الفاء بالواو ، كما ذكر ابن الأثير قوله تعالى : « ولا نطمع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٢) ذلك أن الفعل أغفلنا ظاهره ملتبس بفعل المطاوعة الذى لا يعطف عليه إلا بالفاء دون الواو كقولك أعطوه فخذ ودعوته فأجاب إلا أن معناه يخالف لمعنى فعل المطاوعة لأن معنى أغفلنا : صادفناه غافلا وليس منقولا عن غفل حتى يسكون معناه : صددهاه لأنه لو كان كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء ، وقيل فاتبع هواه السكن طريقه أنه لما قال : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد

(١) راجع الطبرى ٤٧/٦ والرازي ٢٠٢/٢١ والمثل السائر ٢٦١/٢

(٢) الكهف ٢٨

غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطلع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أى لا تطلع من عمل كذا وكذا بمدد أنعاله التى توجب ترك طاعته « (١) »
وتفسير ابن الأثير للفعل : أغفلنا بمعنى صادفنا لاجتماعي صادفنا وأن ظاهره حطاطه وباطنه غير ذلك تكلف شديد وتحس كأنه يساور محالا . ومع أن العلوى كثير النقل عن المثل السائر ، تجاوز هذا الموضع كغيره مما لم يصل حد الانتفاع ولم يقع فيما وقع فيه بعض المؤلفين المحدثين من نقل دون تمحيص .

ومعنى أغفلنا قلبه عند المفسرين : شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدهون ربهم بالعداء والعشى ، أى شغلنا قلبه بالكفر عن الذكر وغلبه الشقاء واتبع هواه أى آثر هوى نفسه وترك أمر الله ونهيه وهذا عند الطبرى (٢) وعموما قال أهل السنة : معنى الإغفال : إيجاد الغفلة والضلال وخلقتها فيهم إذ أعمال العبد تضاف إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا لله ، وقد تضاف إلى العبد لأنه المياثر لها المقرونة بقدرته واختياره كما يجيز أهل السنة أن يكون معنى أغفلنا قلبه : تركه بغير سمة أى لم نسه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا فى قلوبهم الإيمان ونسب أبو حيان هذا الرأى للإمام الرمانى المعتزلى وذكره فى الكشاف دون نسبة وقالت المعتزلة معنى : أغفلنا : وجدناه غافلا بالخذلان والتخلىية بينه وبين الأسباب المؤدية إلى الغفلة يؤيده قوله : واتبع هواه ، بالواو دون

(١) المثل السائر ٢/٢٦٣ .

(٢) راجع الطبرى ١٥/١٥٦ .

الفاء إذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لتبيل فاتهم هروا .
بالفاء . ويمكن أن يجاب كما نقل النيسابوري عن الرازي ملخصا : بأنه
لا يلزم ذلك إذ الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير
تامة فقد يكون الإنسان غافلا عن الذكر متوقفا عنه دون اتباع الهوى (١)
بل نلاحظ أن اتباع الهوى مصاحب لإغفال الله بمعنى الإضلال ومن
ذلك يتبين أن ابن الأثير رحمه الله نقل من مناقشات الرازي ، والتقط
ما يتصل بالفاء والواو وكان رجلا كاتبيا ناقدا بعيدا عن أفكار
الفرق الإسلامية ولذا نقل فكرة الاعتزال بحسن نية . ولما أراد التحليل
شاع الغموض والتكلف والتداخل في شرحه ، فمرة يجعل إغفالنا صادفنا وهو
تعبير جرى . غريب ومرة يجعل أغفلنا المتعمد بمعنى غفل قلبه إغفالا ،
لأسرار التعديبة ودلالة كل فعل منهما ومناسبته لتمامه الخاص به ، والحق
ما قدمنا .

والواقع أن لتنوع حروف العطف بين الآيات المتشابهات شأنا وخطرا
في القرآن الكريم سواء . كان اختلاف الحرف في داخل الآية والنسق أم
في بدئها فقد تأتي الواو في آية والفاء في مثيلتها أو الفاء في آية وثم في
أختها أو تأتي الآية بالواو في نسق وبدون الواو في نسق آخر وكل أولئك
في دقة معجزة وتلاؤم خارق وتصور عال لما يقتضيه المقام . وأمثلة من أورد
عديدا من هذه للتشابهات في أسلوب دقيق دقيق الإمام الكرمانى في

(١) راجع في الآية : غرائب النيسابوري على الطبرى ١٥/١٤٦ ،
والكشف ورد الانتصاف عليه ٢/٤٨٢ والبحر المحيط ٦/١٢٠ . وأبا السعود
٢١٩/٥٠ .

أمرار التكرار فقد أوفى على سابقه الإسكافي في حسن التعبير والدقة وكان
صدرا للفير وزبدي والسيوطي وكثير من المفسرين .

ونزجى هذه الشواهد على ما أسلفنا . فمما تعاورت فيه الواو والقاف
ما جاء في قول الله تعالى من سورة البقرة ٣٥ « وقلنا يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما » بالقاف في الأعراف والواو في
البقرة إذ الفعل اسكن في البقرة من السكون الذي معناه : الإقامة وهذا
يستدعي زمنا محتمدا فلم يصلح إلا بالواو لأن المعنى أجمع بين الإقامة فيها
والأكل من ثمارها .

ولو كان القاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة
لأن القاء للتعقيب والترتيب ، والذي في الأعراف من السكنى الذي معناها :
اتخاذ الموضع سكنا بدليل أن الله أخرج إبليس من الجنة بقوله « اخرج
منها مذموما » وحاطب آدم في الآية بعدها - ١٩ - فقال « يا آدم اسكن
أنت وزوجك الجنة » أى اتخذها لأنفسكما مسكنا (فكلا من حيث شئتما)
فكانت القاء المسكن لا يستدعي زمانا محتمدا ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ
والأكل فيه بل يقع الأكل عقبه ثم لما عظم شأن القول في البقرة ، بقوله
« وقلنا » بناء العظمة والجلالة جاء في البقرة الكلمة « رغدا » تناسبا
وتلاؤما بخلاف سورة الأعراف إذ فيها « قال » وذكر الإسكافي والرازي
أن كل فعل عطف عليه شيء ، وكان الفعل بمنزلة الشرط وذلك الشيء
بمنزلة الجزاء عطف التلخي على الأول بالقاء دون الواو كقوله تعالى « وإذ
قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا » البقرة ٥٨ فعطف :

كلوا على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها فكأنه
قال : إن دخلتموها أكلتم منها ، فالدخول موصل إلى الأكل ، والأكل
متعلق وجوده بوجوده يبين ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة
الأعراف ١٦١ « وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم »
بالواو دون الفاء لأن اسكنوا من السكنى وهى المقام مع طول اللبث ،
والأكل لا يختص وجوده بوجوده لأن من دخل بستاناً قد يأكل مندوإن
كان مجيئاً ، فلما لم يتعلق الثانى بالأول تعلق الجزء بالشرط وجب المطف
بالواو دون الفاء ثم إن الخطاب فى الآية الأولى « اسكنى » لآدم بمددخوله
الجنة مراداً به الاستقرار والأكل يتعلق به فلا جرم ورد بلفظ الواو وفى
سورة الأعراف هذا الأمر إنما ورد قبل دخوله الجنة والأكل يتعلق به
فلا جرم ورد بلفظ الفاء (١)

ومما تنزل فيه الفعل من سابقة منزلة الجزء من الشرط نطف بالفاء
قوله تعالى من سورة التوبة « وما منعهم أن تقبل منهم فقاتهم إلا أنهم
كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم
كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ٥٤ ، ٥٥ .
أى إن يسكن ذلك منهم فما ذكر جزاؤهم وأعان على ذلك كون الفعل
« ولا يأتون » وما بعده مستقبلاً يتضمن معنى الشرط فكان حرف الفاء
هنا أحسن موقفاً من الواو . وقد جاء بالواو فى الآية بعدها « ولا تصل على

(١) راجع فى الآيتين ذرة التنزيل ١٧/١١ وأسرار التكرار ٢٥ ، ٢٨
وتفسير الرازى ٤/٣ وأبا السعود ٢٢٠/٣ .

أحد منهم مات أبداً ولا تتم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وم قاستون ، ولا تعجبك أموالهم وأولادهم « ٨٤ ، ٨٥ لأن كفروا بلفظ
للماضي ومعناه والماضي لا يتضمن معنى الشرط ولا يقع من الميت فعل في قوله
« مات » فكان الواو أحسن .^(١)

وذكر الإمام الرازي وجهاً آخر هو أن في الآية الأولى ٥٥ إنما ذكرها
بعد قوله « ولا يفتقون إلا وم كارهون » وصفهم بكونهم كارهين للاتفاق
وإنما كرهوا ذلك الاتفاق لكونهم معجبين بكثرة الأموال فلهذا المعنى
نهاه الله عن ذلك الإعجاب بقاء التعقيب فقال « فلا تعجبك » وأما في ٨٥
فلا تعلق لهذا الكلام بما قبله فجاء بحرف الواو ويعنى الرازي بنفي التعلق
الترتب والتسبب والتعقيب ، إذ بين الآيتين تناسب قوى أوجب العطف
بين الآيتين من حيث إنهما إنشائيتان وأم منه أن الآية الأولى ٨٤ أثبتت
كفرهم وموتهم على النسق ، والآية الثانية تبين أن ما كان من أسباب
نقضهم وهو المال والولد هو في الحقيقة سبب عذابهم وتشديد الحنة عليهم
وإذا كان الخطاب مراد به كل المؤمنين مع أنه في الظاهر للنبي صلى الله عليه
وسلم ، فلذلك ليحسم أمراً هاماً هو أن الكفر يجعل كل خير في الظاهر
بلاءاً وعذاباً في الآخرة ، فلا خير مع الكفر ، وأن الإيمان هو المطلب
والغاية والخير الباقي ، والدنيا إن جاءت للمؤمنين كانت في خدمة الإيمان
وتحت الأقدام لا في القلب والعين ونظيره قوله تعالى « ولا تمدن عينيك إلى
ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ... الآية » طه ١٣١

(١) راجع أسرار التكرار ٩٧ والرازي ٩١/١٦ ، ٨٥٥ .

وبين الآيتين ٥٤ ، ٥٥ والآيتين ٨٤ ، ٨٥ اختلافات في التعبير
وتفاوت في بعض الألفاظ بين أسرار الكرماني والرازي .

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود في قصة هود وشعيب « ولما جاء
أمرنا نجينا هوداً » « ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً » ٩٤ ، ٥٨ وفي قصة صالح
ولوط « فلما » ٨٢ ، ٦٦ بالفاء .

ذلك أن العذاب في قصة صالح ولوط وقع عقب الوعيد فإن في قصة
صالح « تمتعوا في داركم ثلاثة أيام » ٦٥ . وفي قصة لوط : « أليس الصبح
بقریب » ٨١ فجاء حرف الفاء للتمجیل والتعقيب ، أما في قصة هود وشعيب
فقد تأخر العذاب عن وقت الوعيد فإن في قصة هود « فإن تولوا فقد أبغمتكم
، أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم » ٥٧ وفي قصة شعيب
« سوف تعلمون » ٩٣ قال الكرماني والتخويف قارنه التسويف فجاء
بالواو المهمل^(١)

وعما أخذ من العلماء اهتمامهم الاستفهام الإنكاري تارة تدخل على
الكلام مباهرة دون عاطف فاصل وتارة تدخل بعدها واو ، أو فاء ،
وبين هذه الحالات فروق دقيقة . قال الرازي مفرقاً بين قول القائل (أزيد
في الدار بعد وقد طلعت الشمس) وبين (أزيد في الدار بعد وقد طلعت
الشمس) الواو إشارة خفية لى أن قبج فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين ،
كأنه يقول : أغفل وهو في الدار بعد ، لأن الواو تنبئ عن عطف أمر
مناير لما بعدها ، وإن لم يكن هناك سابق لكانه يرمي بالواو إليه ، زيادة
في الإنكار .

(١) راجع أسرار التكرار ١٠٨ .

أما الفرق في التعبير بين ما فيه الواو ، وما فيه الفاء ، كقوله تعالى :
« أفلم ينظروا إلى السماء ، فوقهم كيف بينناها وزيناها وما لها من فروج » ق ٦
وقال في الأعراف ١٨٥ « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض »
لأنه سبق منهم إنكار البعث بقولهم « ذلك رحمة بعيد » ٣ في سورة ق
فغيب على قولهم بالاستفهام الإنكاري والفاء دفعا وردا واستبعادا
لاستبعادهم دون آية الأعراف التي لم تسبق بإنكار بل جاءت الآية تنعى
عليهم ترك النظر في الكون بعد آية توضح على ترك التفكير في شأن
صاحبهم وأحواله صلى الله عليه وسلم ، وأنه نذير مبين « أو لم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين » ١٨٤ الأعراف (١) .

ثم إن موافقة النسق هام جداً في تعيين الحرف واوا أو فاء في الآية
« أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »
الروم ٩ سبقت بالآية « أو لم يتفكروا في أنفسهم » ٨ وجاء بعدها جملة
مطوية بالواو « وأثابوا الأرض وعمرها » ٩ . موافقة لما قبلها
وما بعدها .

وكذلك آية فاطر ٤٤ وغافر ٣١ « أو لم يسيروا في الأرض » لوقوعهما
في نسق عطفت جملة بالواو . أما آية غافر آخر السورة « أفلم يسيروا في
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » ٨٢ فقد وافقت ما قبلها
وما بعدها وما بالفاء وهو قوله « فأي آيات الله تنكرون » ٨١ وبمدها

(١) راجع تفسير الرازي ٢٨/٢٥٥ في قوله تعالى « أو لم يسيروا في الأرض »

« فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » (١) .

ثم إن المقام وراء تباير الحرف ترتيبيا وتعاقبا متلاحقا بالفاء ، وجما وسردا دون تعاقب بالواو . وإذا أريد الإمهال جاءت ثم بدل الواو . وتأمل قوله تعالى : « قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » فصلت ٥٢ .

وقوله تعالى في الأحقاف ١٠ « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » والتعبير إن كان من عند الله . أي القرآن أظهره في صورة الاحتمال وهو من عند الله دون شك ، منزلا معهم في الخطاب واستدراجا في الحجة . والمعنى في آية فصلت : كان عاقبة أمركم بعد الإمهال للنظر والتدبر الكفر ، وهو كفر لا دليل عليه فحسن دخول ثم كما يقول الكرماني ويدعمه أنه عبر عنهم بقوله « من هو في شقاق بعيد » وبعد الشقاق والضلال مناسب لهذا التراخي والنهول ثم الذي يعقبه كفر بواح (٢) تنديدا وتبكيقا .

وأما آية الأحقاف فلم تكن عاقبة أمرهم الكفر وحده بل عطف عليه « وشهد شاهد » فلم يكن للمهلة موضع فجاء بالواو . وفي الآية حذف الشرط أي أستم أضل الناس وأظلمهم أو من أضل منكم وهذا على أن الواو في « وكفرتم به » للعطف على كان . أما إذا كانت للحال ، فالوازنة بين مطلق الواو و ثم .

(١) راجع أسرار التكرار ١٦٦ .

(٢) راجع في اختلاف الحرف أسرار التكرار ١٩٠ وفي ضيافة الآيتين الرازي ١٣٨/٢٧ ، ٩/٢٨ والبحر ٥٠٥/٧ وأبا السعود ٨٠/٨ .

مفهوم الواو :

والواو الماظفة في اللغة العربية للربط بين المتعاطفين والتشريك في الحكم الإعرابي على إطلاقه : أعني في مطلق الفاعلية أو المفعولية أو غيرها فتقولك : جاء زيد وبكر ، تشرك الواو بكرا مع زيد في فعل الجي . أما كون الفعل قد حدث بالتساوي بينهما أو على قدر من الاختلاف والتغاير كقوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » . « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » فهذا خارج عن دلالة الواو ويفهم من السياق بل إن الواو كما يقول المرحوم الدكتور أحد فؤاد الأهواني « الواو مفهوم أساسي ذهني لا وجود له خارج الذهن ، وهو من قبيل اللامعرفات »^(١) .

يريد أن فكرة الجمع والتشريك ذهنية ليس لها واقع زمني في الخارج بخلاف الفاء أو ثم ، فلهما واقع ذهني وواقع زمني وحدثي خارجاً . وفولهم إن الواو لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً لا يعني أبداً أنها تأتي في أساليب لا ترتيب بين أحداثها ، إذ هذا الترتيب بين الألفاظ أو الجمل في القرآن الكريم يخضع لموازن دقيقة وأسباب قوية ، إذ تقديم الكلام في اللسان على حسب تقدم المعاني في النفس والمعاني تتقدم عند السهيلي - وعنه نقل الرازي والزمكاني والمولى - بأحد خمسة أشياء : بالزمان كتقديم عاد على ثمود ، أو الطبع كثنى وثلاث ، أو الرتبة كـ « همار مشاء بنميم » ، لأن اليعاب

(١) راجع نتائج الفكر ٢٦٦ - ٢٧٥ وتفسير الرازي وقد جعلها ستة ٢٠٩/٢٩ ، والطراز ٥٧/٢ .

لا يحتاج إلى الحركة بخلاف الثاني، ومنه « يأتوك رجالا وعلى كل ضامر»
أو الفضل والشرف نحو « فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » ومنه
تقديم السماء على الأرض .

وربما كان ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والنقل كتقديم ربيعة على
مضر، مع أن مضر أفضل ، والجن على الإنس ، لأن تقديم الأثقل أولى
لفشاط المتكلم وجمامة^(١) .

وقد يجتمع أكثر من سبب ويقدم إحداها لاقيضاء المقام كقوله تعالى
عن الحور العين « لم يطعنهن إنس قبلهم ولا جان » والجن لا يتناول الملائكة
فالتقديم هنا للشرف والفضل تناسبا مع تكريم المنعمين ، ولذا فقد يتخلف
الترتيب الزمني في بعض الآيات التي جاءت فيها الواو كقوله تعالى :
« واسجدى واركعى مع الراكعين »^(٢) والركوع قبل السجود قال الزركشى
لم يقتل أن شرعهم كان مخالفا لشرعنا في ذلك وقال تعالى : « سخروا
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »^(٣) والأيام هنا قبل الليالي . إذ لو كانت
الليالي قبل الأيام كانت الأيام مساوية لليالي وأقل . قال الضفار « لا يصح
جمل الواو للترتيب »^(٤) .

والخسة الأسباب التي توجب التقديم فقامت عند العلامة الزركشى إلى

(٢) راجع البرهان ٤/٤٣٦

(١) آل عمران ٤٣

(٤) راجع البرهان ٤/٤٣٦

(٣) الحاقة ٧

خمسة وعشرين سببا مقتضيا للتقديم والترتيب . وإذا رجعت إلى هذه الأسباب وجدت منها ما كان راجعا إلى العقل كالتقدم بالسبق والذات والعلّة ، وما كان راجعا إلى اللفظ خفة على اللسان ، أو رعاية للفاصلة أو الاشتقاق ، ولا بد أن يكون معه مر بلاغي ، ومعظم الأسباب راجع إلى نواح فنية بلاغية كالتعظيم والشرف والاهتمام والترقي والتحذير والتخويف والحث والتعجيب من شأنه ودلالته على القدرة إلى غير ذلك مما بسطه الإمام الزركشي وحلله وحل مشكله وكشف النقاب عن أسرارها العالمية^(١) وما ذكره المصملي والزر كشي « يدحض قول من يدعى أن القواعد البلاغية وبخاصة في الترتيب جرت على أساس منطقي بعيدا عن الأمرار الجمالية وجود يفتح آفاقا متكاثرة للتعبير الفنية .

الواو بين المفردات :

الواصل بالواو يعنى عطف المفردات بعضها على بعض وعطف الجمل التي لها محل من الإعراب ، وتتم وقوع المفرد . والجمل التي لا محل لها من الإعراب . وقد قصر الإمام عبد الباقر تحليلاته على الجمل التي لا محل لها من الإعراب في فصلها ووصلها بالواو ، لأنها التي تحتاج دقة وضعية في التفهم ، وذكراء في المعرفة ، لأن في بعض أساليبها غموضا . وكان رحمه الله يحاول بكل ما وهبه الله من طلاقات أن يفك مغاليق هذا الفن ويرى بعقله وذوقه في دروبه البكر ومجاهله العذراء ، تاركنا عطف المفردات

١- في شرحه على كتابه في علم البيان (١٧)

لأنها لا بلاغة فيها ، فالبلاغة بين المفردات - كما يرى السيد والمصام -
كالبلاغة بين الجمل^(١) . بل لأن أمرها - في الأغلب - واضح غير مشكل .
والعلماء يقولون إن معرفة الفصل والوصل فن عظيم ، صعب المسلك ، دقيق
الجزى ، عظيم الخطر لا يعرفه على وجهه ولا يحيط به علما إلا من أوتي
- في فهم كلام العرب - طبعاً سليماً ورزق - في إدراك أسبابه - ذوقاً صحيحاً ،
ولذا قصر بعض العلماء والبلغاء - على جهة المبالغة - البلاغة على معرفة مواطن
الفصل والوصل .

وقد سار على درب الإمام ، الخطيب القزويني وشروح التلخيص^(٢) .
وفي المقابل وجدنا حشداً من العلماء يعالج الفصل والوصل بين المفردات
والجمل بالواو وغيرها من حروف العطف ، ذلك أن الأجيال المتأخرة من أبناء
العربية لم يعد لهم ذوق اللغة وعبقريتها إلا شذرات لاتفتى غناء في التعرف
على أدب أو شعر أو فخر أو ما يهذب الروح ويشذب العقل .

ومن هنا وجدنا السكاكي وابن الأثير والسمهلي والزملكاني والعلوي
والزركشي والسيوطي ، ثم وجدنا المفسرين سياقين إلى التعرف على أسرار
الوصل والفصل بين المفردات والجمل في النسخ القرآني - حسب الطاقة - وقد
أوفى على الغاية الإمام الرازي وعنه أخذ النيسابوري وأبو السمود والبيضاوي
والبقاعي بل حارلوا مع علماء المتشابه وأشهرهم الإسكافي والكرمانى والرازي
أيضاً يهاتفون في الاهتمام بتغيير الحروف في النسخ المتشابه ، كما وضعنا
في الشواهد السابقة .

(١) راجع الأطول ٢/٤ .
(٢) راجع بغية الايضاح ٦٢/٢ وشروح التلخيص ٦/٣ .

ينبغي أن يعود إلى المفتاح والمثل السائر ونتائج الفكر والقياس لازم لكاتبه الخواتمى والتقارير كتقرير الامباني .

٢ - جار على المفسرين أيضا وأنصف ابن السكبي وتفسيره موجز جدا في أربعة مجلدات وأغفل عمالة التفسير المهتمين بفكرة التناسب كالرازي والنيسابوري والبقاعي .

كما ضرب صفحا عن المؤلفات الشاخحة في علوم القرآن وأشهرها البرهان للزر كشي واللاتقان ومعتك الأقران للسيوطي .

٣ - يقدم لنا الطراز للملوي في شكل اكتشاف خارق وافتاء وقور واستملاء متواضع « المناسبة الوحيدة - فيما أعلم - والجيدة - فيما أظن - » « وتأمل هذه الاعتراضات المثيرة » التي تناول - (وتأمل الفصل التعسفي بين الصفة التي - والموصوف - المناسبة) فيها يحيى الملوي اليني صاحب كتاب الطراز في القرن الثامن الهجري فكرة عطف المفرد « إنه أشبه باكتشاف وأبناؤنا الطلاب يملون حق العلم أن الملوي - رحمه الله - نقل حرفا حرفا عن الزملاكي وهو نقل حرفا حرفا عن السهيلي في نتائج الفكر ، وأن هذا الموضوع قد استفاض في كتب المفسرين تجده يتوضح أكثر عند تالامام الرازي ، ثم من بعده كآبي السفود والبيهناوي والشهاب الخفاجي ، وما كان على المؤلف - غفر الله له - لو راجع بعضا من مصادر التراث قبل هجومه العنيف المتجانف ، وإليك كلمة في الفصل والوصل بين الصفات ، من المتعالم أن الواو تفيد المغايرة بين المتعاطفين تحميها أو تنزيلا

إذ لا يعطف الشيء على نفسه ، وتفيد أيضا : الجمع والتشريك في الحكم
فبما له محل إعرابي وفي الصفات في القرآن قد تعطف صفة على أخرى ،
أو تعطف مجموعة من الصفات على مجموعة أخرى . وقد تنوالت دون
عطف (١) :

صفات الله تعالى :

وصفات الله تعالى جاءت غالبا متوالية مفصولة دون عطف لاتحاد محلها
فهي تجرى مجرى الأسماء المتقاربة إشارة إلى وحدتها ودلالاتها على الذات
التي لا تعدد .

فالصفة تجرى هنا مجرى الموصوف قال تعالى : « الحمد لله رب العالمين ،
الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » (٢) « هو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ...
الآيات » (٣) .

(١) راجع في عطف المفردات - مع اختلاف المناهج - المثل السائر
٢٥٩/٢ والمفتاح ٢٤٩ ونتائج الفكر ٢٣٨ - ٢٦١ والطراز ٢/٢٢ والايضاح
٢٤٦ وتقرير الامبابي ٣/١٩١ والبرهان ٤/٤٣٩
والكشف والرازي والبحر وأبا السعود والشهاب في آيات الصفات
« المتوالية بالواو وبدونها كما سيأتي .

(٢) الفاتحة ٢ - ٥ .

(٣) الحشر ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

« يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم » (١).

وهذه الصفات متسلسلة متسقة لا تخالف بين دلالاتها أو متعلقاتها، ولذا لم تأت الواو في معرض أسماء الله الحسنى إلا في موطنين - حسب علمنا - قوله تعالى: « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » (٢) وهي أسماء متضادة المعنى في أصل وضعها لا تجتمع في ذات واحدة من وجهة واحدة لأن الشيء الواحد لا يكون ظاهرا وباطنا من وجه واحد مثلا، رفا للتناقض وتبنيها على اختلاف الجهة - فكان دخول الواو صرفا لوم مخاطب - قبل للتأمل - عن توهم المحال واجتماع الأضداد (٣).

وقال الله تعالى أول غافر: « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول إلا هو إليه المصير » ١ - ٣

فما سقط منه الواو لاجتماع الصفات والتعاقبها في موصوف واحد وتعدادها، أما الواو بين « غافر الذنب وقابل التوب » فهي لإفادة الجمع للذنب الثابت بين رحمتين بين أن تقبل توبته فتكتب له طاعة، وأن يحطها بحياة الذنوب كأنه لم يذنب، كما في الكشاف وقال السهيلي لكونهما

(١) الجمعة ١

(٢) الحديد ٣

(٣) راجع: الكشاف ٦١/٤ ونتائج الفكر ٢٤٠ والبحر المحييط ٢١٧/٨ وأبا السعود ٢٠٤/٨ والطراز ٣٠٥/٢ وتقرير الاماميين ١٩١/٢ ص ٧١

عن صفات الأفعال، ولعله سبحانه في غيره لأفنى نفسه فدخل حرف اللفظ
للتغايرة الصحيحة بين المعنيين وانتهز لهما منزلة الجملين لأنه سبحانه يفبه
العباد على أنه يفعل هذا ويقبل هذا ليرجوه ويؤملوه، وقد جمع العلوي بين
الرأبين . أعنى الزمخشري والسهيلي^(١) .

ووضح الرازي فكرة التغاير بأنه لو لم يذكر الواو لاحتجلم أن يقع في
خاطر إنسان أنه لا معنى لكونه غافر الذنب إلا كونه قابل التوب فلما ذكر
الواو زال هذا الاحتمال ، لأن عطف الشيء على نفسه محال وزاد أبو السعود
تعليلاً آخر هو تقاير موقع الفعلين لأن المفرد هو المستمر مع بقاء الذنب ولذلك
لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له أما شديد العقاب ذى الطول
فقد سقطت الواو إشاراً باستقلال الصفات واجتماعها من غير جامع كما يرى
الشهاب والامباني .

ورأى الكشاف بافاة الجمع بين رحمتين أظهر لأن الوصفين بما لجان
فكرة واحدة أو صفة شاملة هي رحمة الله الواسعة ثناء عليه تعالى وحناء
على التوبة وقد تقدمت صفة الرحمة على مقابلتها شديد العقاب مع ما فيه من
تحذير وترهيب إشارة إلى سعة رحمة وأنها سبقت غضبه^(٢) ثم إن شدة
العقاب راجعة إلى معنى القوة والتدرة وهو معنى خارج عن صفات الفعل
فصار بمنزلة ما تقدم في الآية الأولى « العزيز السليم » تلاوفاً وكذلك

(١) راجع الكشاف ٤١٣/٣ ونتائج الفكر ٢٤٠ والطراز ٢/٣٦٠٣٧.

(٢) راجع تفسير الرازي ٢٧/٢٨ - ٢٩ وأبوالسعود ٧/٢٦٥ والشهاب

٣٥٧/٧ وتحرير الامباني ٣/١٩٢.

قوله « ذى الطول » لأن « ذى » عبارة عن ذاته سبحانه (١).
في الصفات البشرية :

فالصفات البشرية جاءت أيضا بالواو وبدونها قال تعالى : « الذين يقولون ربنا إننا آمننا فأغفر لنا ذنوبنا وقبعاذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمتقين والمستغفرين بالأسحار » آل عمران ١٦ ، ١٧ ، وقال تعالى « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات » الآية ٣٥ الأحزاب .

كما جاءت الصفات ، تنوالية دون الواو في نحو قوله تعالى : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » التوبة ١١٢ .

وقال تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » التحريم . وجاءت الواو بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فى آية التوبة - دلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة ثم للتباين بين الأمر والنهي فحسن المطف (٢) ، وألمح الرازى إلى معنى للشقة . والجهاد فى الأمر والنهي وتعلقهما بالغير وما يترتب على ذلك نفسيا وسلوكيا فأدخل الواو للتنبية على

(١) راجع نتائج الفكر ٢٤٠ .

(٢) راجع البحر ١٠٤/٥ وأبا السمود ١٠٧/٤ .

ذلك . أما قوله والحافظون لحدود الله أي فيما وضعه الله من الحقائق والشرائع حفظاً وعملاً ودعوة ، فالمعطف لبيان استقلالهم بالصفة ولو فصل لتوهم اختصاص الحفظ بالحدود بالنهي عن المنكر وهو غير مراد^(١) وكذلك جاءت الواو بين ثيبات وأبكاراً للتعابير بينهما^(٢) قال الشهاب جاءت الواو الواصلة هنا دون الواو الفاصلة لأنه من وصف الكل بصفة البعض يعني أزواجاً ببعضهن ثيبات ، وبعضهن أبكاراً^(٣) .

أما الآيات الأولى التي جاءت فيها الواو بين الصفات فاتبين كل صفة من صفة ، إذ ليست في معنى واحد فنزل تعابير الصفات منزلة تعابير الذات وقد رأى في الكشف أن الواو هنا تدل على كمالهم في كل واحدة منها ورده أبو حيان كما سمي تلك الواو في موطن آخر واو الجمع^(٤) .

ومن الواضح أن توالي الصفات في بعض الآيات ، دون عاطف ، قصداً إلى اجتماع هذه الصفات والتعاقبها في موصوف واحد ، دون قصد إلى الاستقلال في الصفة^(٥) .

(١) تفسيره : ٢٠٥/١٦ .

(٢) أبنا السعدي ٤٦٨/٩ .

(٣) راجع الشهاب ٢١٣/٨ والبرهان ٤٣٩/٤ وتقدير الامباين

١٠ ١٩١/٣

(٤) راجع الكشف ٤١٧/١ ، ٢٦١/٣ والبحر ٢٠٠/٤ وأيا السعدي

١٠ ١٦/٢ ، ١٠٤/٧ .

(٥) راجع البحر ١٠٤/٥ وأبا السعدي ١٠٧/٤ ، ٢٦٨/٩ وحاشية

الشهاب ٣٥٧/٧ ، ٢١٣/٨ ، ٢٠٧/٧ .

وخلاصة القول عند العلماء أن العطف يكون ضروريا في الاختلاف البين
الذي لا يمكن معه الاجتماع دون عاطف كما اختلف الجنسيتين في المؤمنين
والمؤمنات وتقابل الدلالة بالتضاد كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «ثيبات
وأبكارا» أو التوهم معنى غير مراد لوسطته الواو كما في «والحائضون لحد الله»
وفي غير ذلك جاءت الصفات بالواو وبدونها^(١) لكن السؤال بعد كل ذلك
ما تفسير هذه الظاهرة؟ وكيف يكون اجتماع الصفات سببا عندهم في ذكر الواو
وحذفها على السواء؟ أعنى ما الأسرار الفنية البلاغية الكامنة وراء الذكر
أو الحذف والمقتضيات الموجبة لذلك؟

الواقع أننا وجدنا الأعم الأغلب في نسق الصفات هو ذكر الواو إذا
لم يمنع مانع وهذا هو الأصل . نجد ذلك في آثار الصفات الإلهية كقول
تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعج الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير » ٢٦ ، ٢٧ آل عمران « الذي
خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفين »
الآيات ٧٨ - ٨١ للشعراء .

ومن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم « إننا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ . وهي
صفات خاصة بالنبي الكريم لا ترقى إليها صفات المؤمنين وكثير من الصفات
على هذا النهج سواء كان الموصوف مؤمنا أم غيره ، مدحدا أم ذمما أم وصفا
دنيا أم أخرى وذلك كثير جاء على الأصل . لكننا لاحظنا أنه في اللامات

(١) راجع الرازي ١٦ / ١٣٥٥ / الجواهر ٥٤ / ١٠٠٧ / ٥٤٠٢ / ٥٤٠٣ / ٥٤٠٤ / ٥٤٠٥ / ٥٤٠٦

القوية التي تقتضى كال المدح أو كال الذم أو غيرها اجتمعت الصفات دون
عاطف لا اتحاد محلها وبشيء من الموازنات يمكن تبين الطريق .

فآية الأحزاب : « إن المسلمين والمسلمات ... » جاءت إثر آيات
تتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وسلم تأمرهن وتنهاهن ، وسبب نزول الآية
أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم قلن : يا رسول الله : ذكر الله الرجال
في القرآن ولم يذكرنا .

ولما نزل في نساء النبي ما نزل قال نساء المسلمين : فما نزل فيما شئء
فنزلات الآية توضح عشر مراتب من الإسلام إلى قوله « والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات » (١) وجاءت الواو بين الجنسين لزوماً لاختلافهما كما
جاءت في عطف الزوجين على الزوجين بيانا لاستقلال الصفة . أما آية
التحريم فقد حانب الله فيها نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقيادة عائشة
وحفصة رضى الله عنهما ، وتهدهن - مع ما هن من فضل ومكانة -
أن يبده الله خيرا منهن « عسى ربه إن طلقكن أن يبدأ أزواجا خيرا
منكن مسلمات ، ووفات قانتات تائبات عابدات ساجدات ثيبات وأبكارا »
فهنا خيرية عالية تفوق في الصفات من اختارهن الله زوجات كالمات لخير
الرسول ، قوة في الصفات وعلا في مدح النساء فكان المناسب ترك الواو
دلالة على التبرؤم واجتماع الصفات وتوحيدها في الموصوفات . وهي صفات
عالية منها صفة خاصة هي السياحة التي لم تذكر إلا في هذه الآية وآية

(١) راجع الرازي ٢٥/٢١٠ والبيهقي ٢٩٤/٧ .

السكّلة من المؤمنين^(١) « التائبون العابدون ... » التوبة ١١٢ وهي آية لم تذكر فيها الواو أيضاً. وهذا من عجب شأن القرآن وتناسبه . والسياسة صفة مدح للصائمين ، قال الزمخشري شبهوا بذوى السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم^(٢) والواقع أن التعمير لإجاءات مدينة فهي سياحات في عالم الروح والقلب والتفكير في الكون والإيمان : سياحة في الزمان وسفر بالفكر في الأكوان ذكرًا وشكرًا ورقياً وقرياً .

وآية السكّلة الذين اشترى الله أنفسهم بأموالهم بأن لهم الجنة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعةكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ويبشر المؤمنين »^(٣) وتلاحظ في هؤلاء المؤمنين من خلال الآيتين :

- ١ - التعبير عن الاستشهاد وبذل المال في سبيل الله بأنه تعاقد طرفاه الله بلفظ الجلالة والمؤمنون استبدالا بالأنفس والأموال جنة خالدة .
- ٢ - جملة الاعتراض « ومن أوفى بعهده من الله » بهذا الاستفهام

(١) المعجم المفهرس ٣٧٤ .

(٢) الكشف ٢/٢١٦ والرازي ١٦/٢٠٥ .

(٣) التوبة ١١٢

الدال على النفي تقريراً لوعده الله بالجنة وتحقيقاً اسم الالتفات في « فاستبشروا بيومكم » تشریحاً على تشریف و تکریماً و تقریحاً و بالغ سرور .

٣ - قوله : « وذلك هو الفوز العظيم » أحد تعبيرين في القرآن جمع فيه الواو واسم الإشارة المفخيم (ذلك) وضمير الفصل . والتعبير الثاني من دعاء الملائكة للمؤمنين في إخلاص طاهر أبيض « وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » (١)

جمع في آية التوبة بين الثلاثة (الواو واسم الإشارة وضمير الفعل) تبييناً على أن الاستبشار من الله يتضمن رضوانه ، والرضوان يتضمن الخلود في الجنان . كما ذكر الكرمانى معنى بذلك أن هذا التعبير دون ضمير الفصل أو الواو سبق في سورة براءة إثر الرضوان أو الخلود في الجنان في الآيتين .

٤ - التائبون : صفة مقطوعة للمدح بتقدير « هم » أى الذين بايعوا الله فاشترى منهم أنفسهم وأموالهم هم هؤلاء ... ووجهه أبوحيان بدليل قرأه « التائبين » بالياء نصبا على المدح أو جراً صفة للمؤمنين وهم أوجه أخرى تطلب في مظاهرها ثم ذكر لهم صفات جميلة اجتمعت فيهم في رفعة وكمال ، وأنت تحس في الإيقاع جلالاً وجمالا وثناء وإشهاراً وتكریماً وتصويراً لشفافية وصفاء فهم بخلاف الواو واجتماع هذه الصفات النادرة لهم نبع تر اكل خير وكل وصف جليل طاهر كما تحس ايضا في هذه الألفات المدودة في المقطع الثانى .

(١) ٢٧٣٠

(٢) ٥٠٢ / ١٧٧ / ١٧٧٧

١١٧

والواوات المددودة في المقطع الرابع وختام الأوصاف بالنون وتوالت ذلك في الصفات دون واو في سبع منها بهذا الإيقاع الجليل المعبر عن سمو ومقامهم ولذا أمر الله نبيه الأسوة أن يبشرهم وهم صحابته ومن كان على قدمهم بقوله « وبشر المؤمنين » ختام الآية بإظهار وصفهم دون ضميرهم إشادة بهم ، وبأنهم وصلوا إلى درجة الكمال في الإيمان ، كما حذف المبتدأ به إما لسببه وهو الجزاء بالجنة وإما للايذان بأنه — بعد هذه الصفات — خارج للجلال وعظمته عن حد البيان .

وعلى هذا قيميا جاز فيه ذكر الواو وتركها تركت الواو لمقتضى المقام . وهذا ترغيبا . فيما لزم في الواو من التقابل بين الأمر والنهي أو دفع وهم غير مراد لو حذفتم لزم الواو اقتضاء لقولا بلاغيا .

وقد سبق تعليل الرازي في أن ما كان من الصفات عبادات يأتي بها الإنسان لنفسه لا تأتي الواو أما النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير . وهذا النهي يوجب ثوران الغضب وظهور الغلظة فكان النهي عن المنكر أصعب أقسام العبادات والطاعات فأدخل عليها الواو تنبيها على ما يحصل فيها من زيادة المشقة والحنة .

وعلى كل فإذا كان المؤمنون طوائف فهذه الطائفة أعلى رتبة ومقاما من الذين اتقوا عند ربهم في آية آل عمران ١٥ ومن آية الأحزاب ٧٠ . وتأمل تفردهم هنا في التوبة بصفة الحمد « الحمدون » وجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم حفظهم لحدود الله على الإطلاق وهي أهم من حفظ مالفروج في آية الأحزاب والحافظين فروجهم والحافظات » ثم جمع لهم

من الصلاة أشرف أركانها الركوع والسيحود. حتى لزومهم لذلك حتى صار
وصفها لهم .

ومن يحيى الصفات متوالية دون عاطف مدجاً وتزكية للنبي صلى الله
عليه وسلم الأيمان آخر التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ١٣٨ جمع الصفات بدون
جامع لإتمامها فيه فهو صلى الله عليه وسلم منبع كل كمال بشري وتأمل
كيف أجرى عليه الوصفين « رؤوف رحيم » وما لهما من فيض نوراني
شفيق .

الوليد بن المغيرة وصفات الذم :

وصفات الذم تأتي غالباً بالوار كقوله تعالى « إن الذين أجمعوا كانوا
من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم
انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون » المطففين ٢٩ - ٣٣
« إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في
سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع
الخنائين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثر ٣١ - ٤٨
« المناقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم » التوبة ٦٧

(١) راجع في آيتي التوبة : الكشاف ٢/٢١٦ والرازي ١٦/٢٠٢
وجاء بعدها والبحر ٥/١٠٤ وأبا السعود ٤/١٠٦ وأسرار التكرار ٩٩٠

ويمكن أن نجد في المصحف حشداً من صفات الكافرين والمنافقين وأعداء الأديان والإسلام ، لكن موقف القرآن الكريم من الوليد بن المغيرة كان منيراً ، قال ابن قتبية « لا نعلم أن الله تعالى وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة لأنه مع سنه وحكمته ورؤاسته وشرفه وعقله رأى الهدى فصدف عنه وأبصر النور ففشى بصره فضل وأضل » وقال في القرآن الكريم الكلمة السوأى « إن هذا إلا سحر يؤثر » .

وتأمل هذه الميامم الخالدة الرهيبة صدقا في الوصف وكشفاً لاموار وإبلافاً في الذم « ولا تطعم كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للنخين معتد أميم عتل بعد ذلك زميم ، أن كان ذا مال وبنين إذا تولى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخراطوم » القلم ١٠ - ١٧ .

أجل وسم على خرطومه حسيا ومعنوطا وسما خالدا أبد الدهر ، وتأمل مدح الله فإنه زين وذمه فهو شين كما قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لوفد بني تميم ردا عليهم (١) وتأمل ذم القرآن لأُم جميل وكيف أخذ الغضب والحقد منها كل ما أخذ بوصف نافذ مُضم .

والصفات في الوليد تتوالى شديدة هائلة صائمة يضيف كل وصف لبننة في صرح الشر والعار ، فهو مجرم ذائل . ومن عجب أن تكثر حروف الدلالة وبخاصة النون والميم وكذلك التثنية مرعة في الإيقاع وموالاتة في الهمز نهي سياط عذاب فارية لا ألفاظ وحروف .

ومثله في الوليد أيضا قول الله تعالى « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد

(١) زاجع اعجاز القرآن للرافعي ٣١٣ هـ

حناغ للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلهها آخر ألقياها في العذاب الشديد»
ق ٢٥ ، ٢٦ . والبريد يدخل هو ومن على شاكلته وعتوه في الكفر تحت
المعوم في كل وتأمل الغضب المتوقع في الأسلوب والأمر الراعد بدء صفاته
« ألقيا في جهنم » وهي صفات خلقية ونفسية هابطة رذلة تنتهي بالكفر
الصريح في أسلوب يفجر التناقض بالجمع بين الله الجليل بصفات جلاله وكاله
وبين إله آخر بالتنكير المحقر ولذا كرر الأمر « ألقياها في العذاب الشديد »
نهاية الغضب والامتحان ، فالكافر يلتقي إلقاء كشيء مهمل تافه مستقذر ،
والغضب والتحقير والتهمك يسرى في نسج الآيات في ق والقلم .
نخلص إلى القول بأن الصفات تأتي متوالية مجتمعة دون عاطف في القرآن
والمقامات الخاصة التي تقتضي الكمال في الوصف مدحا أو ذما .

أما صفات الله تعالى فالأغلب إتيانها متوالية دون عاطف إلا ما اقتضى
الوضع اللغوي من عطف المتقاربات أو المتقابلات .

عطف المتقاربات دلالة :

لما كان الأصل في العطف ألا يعطف الشيء على نفسه وإنما يعطف على
غيره لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل ويلزمه تغير الممول ، كان
عطف المتقاربات في الدلالة أعني زائد حتى في اللفظ الثاني ، فيشبهه تغير
اللفظين بتغير المعنيين ، فيعطف أحدهما على الآخر (١) .

(١) راجع في آيات القلم وق : الرازي ١٦٥/٢٨ ، ٨٣/٣٠ ونظم

الدرر ٣٠١/٢٠ وأبا السعود ١٣١/٨ .

(٢) راجع نتائج الفكر ٢٣٨ .

٧٧٧٠ رجال الملائكة في القرآن (١)

وقد عد الزركشى وتبعه السيوطى هذه المتقاربات من المترادفات أو ما هو قريب منه فى المعنى ، والعطف بينها للتأكيد ، كقوله تعالى : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » يوسف ٨٦ « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » طه ١١٢ « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا يخاف دركاً ولا تخشى » طه ٧٧ « إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » فاطر ٣٥^(١) .

وكثير من العلماء على أنها ليست من المترادف لاختلاف البنية والمعنى تبعاً ، وقد أنكر المبرد والعسكرى وكثير غيرها الترادف هذا ، إذ لا يعطف الشئ على نفسه ، وإذا كان فيه مجال للاخذ والرد فى اللغة لاتساعها وكثرة لهجاتها ، فهو فى القرآن مرفوض تماماً ، فالبث يختلف عن الحزن ، والظلم عن الهضم ، والخوف عن الخشية ، لأن لكل كلمة دلالة خاصة من واقع استعمالها القرآنية ، وهو أمر اهتم به الراغب فى مفرداته والعسكرى فى فروقه وقدمت فيه الدكتور بنى الشاطىء بحثاً طيباً^(٢) .

والمرروف عند علماء البلاغة والنحو أن العطف ذاته دال على التغاير . قال سيد شريف : أداة العطف إن توسطت بين الذات اقتضت تغايراً بالذات وإن توسطت بين الصفات اقتضت تغايراً فى المفهوم^(٣) . بل

(١) راجع البرهان ٤٧٢/٢ .

(٢) راجع الاعجاز البيانى ٢٠٩ .

(٣) حاشية السيد على انكشاف ١٣٣/١ .

ما ذكره العلماء أيضا حول عطف المكرر ، أو الجمل التوكدة ، وإن أحدث لفظا أو تقاربت من أن العطف فيها - إن لم يمكن حملها على التغاير الحقيقي وهو كثير فيها - تحمل على انتفاير التنزيلي نزيلا للتغاير بين الداتين بوجه خطابي كقوله تعالى « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .

وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لقد اتقوا الله » الحشر « ١٨ » وعلى ذلك الزمخشري والرازي وأبو حيان والسبكي والشهاب وعديد سواهم^(١) مما سنبسط فيه القول في كمال الاتصال إن شاء الله .

الواو بين التشريك والربط :

والواو قد تكون عاطفة بين المفردات أو الجمل التي لها محل من الأعراب وتفيد التشريك في الأعراب وفي مطلق الحكم أما الواو التي تأتي بين الجمل التي لا محل لها من الأعراب فلا تفيد مشاركة في الإعراب ولا في الحكم بل تأتي لمجرد الربط ، وقد أطلق عليها بعضهم واو الاستئناف والنقطع والابتداء .

والظاهر أنها عاطفة لمجرد الربط كما ذكر الزركشي كقوله تعالى :
« ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده » الأنعام ٢ وهي جملة اسمية . وقوله

(١) راجع من ذلك : الكشاف ٤٢٩/١ ، ٨٦/٤ ، والبحر ٤٥٦/٢ ،
٢٥٠/٨ ، وشروح التلخيص ٨٨/٣ وحاشية الشهاب ٩٠/٨ .

تعالى : « لتبين لسكم وتقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى » الخج ٥ ،
وقوله تعالى : « هل تعلم له سميا ويقول الإنسان إننا مامت لسوف أخرج
حيأ » مريم ٦٥ ، ٦٦ وما جاءت فيه من الجمل التي لا محل لها من الاعراب
في القرآن لا تحصى عدا (١) .

وقول الزركشى مجرد الربط ينبغى أن يضم إليه مع وجود الجامع
والتلازم ليسكون الأسلوب — وهو كذلك — بلاغيا فنيا . وعلى هذا
فيثورة صاحب (بلاغة العطف في القرآن) على علماء النحو والبلاغة
والتفسير ، لأنهم جعلوا الواو للتشريك في الحكم ، فقد في غير محله ،
إذ لا تشريك في الجمل التي لا محل لها وهي أساس باب الوصل عند
عبد القاهر .

على أن نكرة التشريك إنما هي في مطلق ذلك التشريك أعنى التشريك في
أصل الوصف في عطف المفردات نحو : الله ورسوله أعلم فهو تشريك في عموم
العالم لا خصوصه ، إذ من البدهيات تفاوت العليين بل استمداد علم الرسول
من علم الله . على أن هذا الأسلوب ونحوه إنما ذكر فيه لفظ الجلالة للتأييد
والتشريف كقوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

وفي الآية الكريمة من سورة الأنعام ٥٥ بعد تقدم دلائل التوحيد
والنبوة وصحة القضاء والقدر يقول الله تعالى : « وكذلك نفصل الآيات
ولتستبين سبيل المجرمين » أي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على صحة

(١) راجع البرهان ٤/ ٤٣٧ .

التوحيد والعبوة وصفات الله تعالى فكذلك نميز ونفصل دلائلنا وحبجنا
في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل .

لكن ماعلة هذا التفصيل وأسبابه ؟ تأتي الجملة التالية : « ولتستبين
سبيل المجرمين » قال الرازي عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليظهر
سبيل المجرمين والمؤمنين : وذكر المجرمين لأن الضدين إذا كانا بحيث
لا واسطة بينهما فتى بانت خاصية أحد القسمين بانت خاصية القسم الآخر
والحق والباطل لا واسطة بينهما . وحكى أبو حيان أنه لا حذف في « سبيل
المجرمين » لأنهم الذين أثاروا ما تقدم من الأقوال الكافرة وهم أهم في هذا
الموضع ، لأن الآيات ترد عليهم : وحين نأني إلى الإعراب التفصيلي سنجد
أن اللام في (لتستبين) : لام كى تفيد التعليل ، والفعل منصوب بأن بعدها
واللام والمصدر المنسبك من أن والفعل لا بد أن يكون له متعلق ، هذا
المتعلق محذوف ، أى : لتبين لكم ولتستبين سبيل المجرمين ، وهو تقدير
الكوفيين كما ذكر أبو حيان . أو ليظهر الحق كما بين الرازي . أو يقدر
متأخر ، أى ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل وهو ما اقتصر
عليه في الكشف ، فكأنه في الجملة ا كفاء بحذف الفعل لتقدم نظيره ،
وهو كثير في القرآن (١) .

ولجوء العلماء إلى التقدير لأمرين : الأول أن الجار والمجرور تقديرا
لا بد له من متعلق . ثانيا أن تفصيل الآيات المعجزة من دلائل التوحيد

(١) راجع في الآية الطبرى ١٣٤/٧ والكشاف ٢٣/٢ والرازي ٦/١٣
والبحر ١٤١/٤ والنيسابورى ١٥٦/٧ وأبا السعود ١٤١/٣ .

كأثار الصفات المبنوثة في الآفاق والأفئس وصحة النبوة وقهر الله وقدره كل ذلك وقد استغرق جملة من الآلات لا يتوقف تفصيله على إبانة طريق المجرمين فحسب بل لظهور الحق كما ذكر الطبري وأبو السعود ، وهداية المؤمنين ورمم منهج في الاستدلال بالكون على المسكون والدعوة إلى التأمل وغير ذلك هديد من الأمرار . وهذا ما ألبأ العلماء إلى القول بالحذف والإيجاز الذي بنى عليه القرآن . وعلى هذا فقول صاحب بلاغة العطف إن حيل التقدير لا تختص عند النحويين بباب دون باب فهي لا تقتصر على أساليب الشرط لأن كل مانطق بالمطلق أى خرج على النمط النحوى المقرر كان يشد إليه شدا بتقدير محذوف أو مضاف هنا أو هنالك . وهكذا فلوا في باب العطف ، فحين عز عليهم تحقيق معنى التشريك الذى أصروا عليه بين الفعل (تفصل) و (لتستعين) لجأوا إلى القول بالتقدير كما دنتهم ثم يقول « وهذه المجاهدة للتقديرية من جانب النجاة في هذه الآية إنما محمول التعبير فيها إلى تعبير نمطى عادى ، وتفقدتها ما ترى إليه في صورتها البلاغية للمعجزة حيث تربط ربطا مباشرا بين التفصيل واستبانة السبيل وكأن هذا التفصيل من الشمول والوضوح بحيث يؤدى بالتقارىء إلى رتبة الاستبانة الكاملة ^(١) وتلاحظ معى :

أولا : أنه أطلق استبانة السبيل مع أن السبيل مقيد بالمجرمين ولذا فإدخال التقارىء هنا لا معنى له .

ثانيا : يهاجم المؤلف علماء العربية لأنهم قالوا بالحذف والتقدير ويرى
أنه لا حذف ولا تقدير نسفا لكل قوانين العربية .

ثالثا : نقلت عنه قوله : « إن حيل المتقدير ... الخ » ، وهذا أسلوب
لا يليق بعلماء التراث أولئك الذين كانوا قما في العلم والذكاء
والإفادة .

رابعا : يرى المؤلف أن أساليب الشرط التي حذف فيها جواب الشرط
كما يقول العلماء من نحو قوله تعالى : « ولو أن قرآننا نزلت به الجبال أو
قطعت به الأرض أو كلف به للنوى بل لله الأمر جميعا » الرعد ٢١ لا حذف
فيها ولا تقدير ، ولا بأس أن نقول لك لفظه لتعجب يقول : عن آيات
ذ كرها حذف فيها جواب الشرط باجماع العلماء « إنها في حقيقة الأمر
ليست شروطا محذوفة الجواب - كما يظنون - وإنما هي باب آخر من
حور التعبير في العربية لا يجوز على نسط أساليب الشرط المعروفة ، ولا على
نسط أساليب التعرير المأثورة تنهى من باب ثالث لا تنهى آفاق البلاغية
عند حد بلانها تتجدد بتجدد المعاني والسياق ، فلا يقدّر عليه من البلاغ
إلا ممن يملكون شعاعة العربية كما يقال (١) ولكن ما هذا البلب
الثالث وما حدوده ، وإذا كان لا حذف في العربية فما معنى شجاعة العربية
أليست هي الإيجاز كما ذكر العلماء ؟ إنضم إمام دعاوي غريبة : تطلق
إطلاقا في تهافت ، لأن محاولة الهدم دون دليل أو بدليل أمر يخرج به
صاحبه - وإن اتبع سبيل غيره - من كلام الناس .

الجامع بين المفردات والجمال :

ونظام الكلام عند البشر - يقتضى علاقة تربط بين أجزائه ، وخطا
ينتظم تراكيبه وألفاظه وعقلا بصوغ عباراته ، فى تأخ ، وتلاؤم يجعلها
مسموكة محبوكة ، لأن الكلام فى حقيقته ناطقية الإنسان وإحساسه
المتدفق ، وفكره الواعى ووجدانه الدافى .

وقد كان الشعراء والأدباء - وقبول تدوين العلوم - وبمده ، لديهم
حس بالكلمة أو ملكة لغوية ، وفوق بيانى يستبطن أسرار اللفظة ،
ويرصد إلاماتها وظلالها ، ويميش وحى ألفاظها ، وتصاوير عباراتها ،
يأتلفون معها فى معايشة واعية . واندماج فى فإدا ما عبروا عن أنفسهم
انبعث التراكيب حارة فيها دفق حياتهم ، ونبض قلوبهم ، وحرار مشاعرهم
وصادق عواطفهم ، شعرا شاعرا أو نثرا ساحرا .

وقد تذهبوا إلى أن بعض الشعراء يقدفون أحيانا بالكلمات فى ملل
ظاهر ، أو تراخ فكرى ، أو كسل عقلى ، وهمود عاطفى ، أو يخونهم
الطبع حين تطول أسباب الكلام ، وهى آفة لم ينبج منها شاعر مطبوع (١)
ختجى العبارات متفائرة العرى ، متفائرة الجوار ، كقول خلف الأحمر فيما
يرويه الجاحظ :

وبعض قريظن القوم أبناء علة يكسد لسان الناطق المتجھظ

(١) راجع اعجاز الراضى ودلالات التراكيب د محمد أبو موسى ٢٩٦

ولآخر :

وشعر كبير الكبرش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل
وكانوا يعميرون على من بهمل شيئاً من مراعاة النظير . أو دقة الطباق
كفقد نصيب الشاعر للكهيت قوله :

أم أهل ظعائن بالعلماء نافعة وإن تكامل فيها الأوس والشب
قال له : باعدت في القول ما الأوس من الشب ألا قلت كما قال
ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لس وفي اللغات وفي أنيابها شب
فانكسر الكهيت ، كما عاب للنقاد قول أبي تمام وقد أخطأ في تمثيده
للمدح فقال :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم
ما زلت عن حنين الوداد ولا غدت نفس على إلف سواك تحوم
فأية مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين (١)

إن هما تناقضا في الشعور دلالة الكذب الفني بين الفراق المحرق وما فيه
من كآبة ولوعة . وعذاب ، وحنين راعش ، ومذاق مر ، وبين كرم
المدوح الذي يبعث في النفس هشاشة وبشاشة وإقبالا باسماء ، وأمام مشرقا
راضيا في سبيله أوجف للشعراء وبريت أسلات الأفلام .

ودع عنك من يدعي لأبي تمام أنه قصد بناء ضففة عطف ذات نسق
موضوعي جديد ، يتم فيه تراسل ماهيات المعاني بين مرارة النوى وكرم

~~١٤٦٦ راجع إليها~~ (١) راجع البيان والتبيين ٦٦/١ وما بعدها وبغية الايضاح ١٣٧٦/٢ له

أبي الحسين على وجه بنيوي خاص من خلال إبداع سياق يعبر عن البنية الخفية الكامنة تحت هذا العرض للواقع الذي قد يبدو عرضاً غير متجانس»^(١) وإذا كان صاحب الفقرة السابقة قد أثبت لأبي تمام ما غفل عنه أو ما أخطأ في فهمه النقد إلى يومنا هذا فقد فعل ذلك مع الحكيم أيضاً^(٢) والمؤلف تبعاً للأصوليين وأصحاب البنيوية يرفض فكرة الجامع وإن شملت العلاقات على اختلافها وتنوعها وكونها دائرة في عالم العقل أو الوهم أو الخيال، وهي الطاقات الإنسانية التي عرفها العلم قديماً وحديثاً، يرفضون ذلك بحجة أن تلك العلاقات خارجية قبلية، يعنون أنها موجودة أو متحققة قبل إنشاء النص، وخارجية مستمدة من عالم النفس، أو على أساس (سيكولوجي) أو ترابي، ويستدلون بذلك للقول بالعلاقات المستمدة من صيغة النص وبنيته أو ما سماه المؤلف: «تواصل ماهيات المعاني» رفضاً لفكرة الصواب والخطأ وقانون الترابط العقلي، وما أقره التراث من جامع عقلي ونفسي وخيالي ووهي؛ تاركاً لاثان حرية التجديد. والمؤلف بمد هجوم وأخذ ورد وتمثيل بشراهد مصنوعة كأن يقول ممثلاً لاختلاف الصورة باختلاف الصياغة:

الحسين والحسن وعلى من عظماء التاريخ — اينين وماركس
وعلى من عظماء التاريخ^(٣) ووضعه علياً يقصد الإمام علياً بجانب
أقطاب الشيوعية أمر غريب مريب، المؤلف بمد كل ذلك ينادى ببلاغة
السياق المبشكر، والسبب في ذلك أن البلاغة العربية قاصرة عن مواكبة

(١) بلاغة العطف ١٥٨

(٢) المرجع ١٦٠

(٣) المرجع ١٤٠

(٤) — الوصل

للشعر الجديد أو الشعر الحر وهذا ما رددته في مؤلفه^(١)
والواقع أن عدم القراءة في كتب التراث هي سبب كل بلاء. ذلك أن
تضيق الترتيب في السياق أو للنسق من تقديم أو تأخير يؤدي إلى اختلاق
المعنى والتصوير وهذا أمر بديهى كرره عبد القاهر في دلائله عشرات المرات.
أما بلاغة السياق ، أو ما يوحى به للنسق من تصوير خاص ومعنى معين ، فهو
أمر لاجديد فيه عند علماء البلاغة وعلماء القرآن ، وبخاصة علماء التناسب
بين الآيات والصور ، ولكنه تناسب لا يخرج عما أودعه الله في الإنسان
عما يدركه عقله ، أو ينبض به قلبه ، أو يرقى إليه وهمه ، أو ما يخلق به
خياله . ثم إن ما ذكره العلماء من ألوان الجامع وغيرها من فنون البلاغة إنما
هي أطر عامة ، ووسائل أداء ، ومناهج قول ، تمثل الإنسان العربى عقلا
ووجدانا وقما ، ولا تحجر على حرية الشاعر أو الأديب في التعبير . ومن هنا
تنوعت التعابير والتصاوير والتراكيب بتنوع الشعراء الذين لا يحصون
عددا فالتمهيد كبقية البنان لا تتفق في اثنين .

أما الأسلوبية والبنوية أو الحدائث بوجه عام. فليس هدفها تجديداً
وإبداعاً إنما هدفها — كما ذكر الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرة قيمة
له بنادى جدة الأدبى فى رجب ١٤٠٦ هـ — مناصرة الشعر الحر (وهى
أخطر من الليبرالية والعلانية والماركسية وكل مآثرته البشرية من مذاهب
وإنجازات هدامة ترسيخاً للنموذج الغربى فى حياتنا وفكرنا ، ثمرداً كما
ذكر أدونيس على الواقع الاجتماعى دينياً وفكرياً وسياسياً ، وثورة على
الأنظمة السائدة .

(١) المرجع ٣١ ، ١٧٦ .

ولما كانت الحدائث هداما لكل نظام وقاعدة ، دون أن توجد نظاما
وقاعدة أصبح العبث الفكرى سمة بارزة فيها ، وسقطت في ظلمات الغموض
والفاز الطلام بدعوى أن الشعر نوع من السحر لأنه يهدف إلى أن يدرك
ملا يدركه العقل ، والواقع أن الحدائث راجعة في أصلها إلى العلامانية
واللاركسية كما تكشف خالدة سعيد زوج أدونيس .

ثم إن الحدائث عند بعضهم تدمير لكل قاعدة في اللغة ، ومحاولة
لإعادتها إلى اللقاعدية اللامتشكلة ، ويتم ذلك عن طريق تدمير بنية الجملة
الدالة وتحويلها إلى سلسلة من الامكانات والتداخل ، فهي تدمر العلاقة
التقليدية بين الكلمات والأشياء ، لتصبح الكلمات استنارة لأنواع مختلفة
من السياق .

وهي يسمون اللغة العادية (التوافقية) أو الترابطية ، بمعنى أن لفظة هاب
تشير إلى موجود فيزيائي . ولكن لغة الحدائث لا تستحضر الحدث في وجوده
الفعلى ، بل تريحه وتفسح حوله شبكة معقدة من العلاقات ، حتى إن وجود الشيء
يتحول إلى وجود رمزى صرف يحتفى فيه اختفاء شبه مطلق . والمحاضرة قيمة
كانت لها هزة ، ووقع طيب في الأوساط العلمية والأدبية ، وقد حرصت على
نقل فقرات من هذه المحاضرة لأبين ما يتخذة دعاة الحدائث من عناوين قوآنية ،
قد يضل بها بعض شبابنا الذين هم عدة هذه الأمة في مستقبلها . ونعود إلى
النسق لنقول : ان الامام عبد الفاهر اتم كثيرا في تقدير نظرية النظم بما
للعلاقات بين الكلمات والجل من خطر وأثر جليل ثم أضاف السكالي
بمقلمة حادة مفهوم الجامع بين الكلام فلتخصيصا للتراث البلاغى في هذا الشأن .

والجامع إما عقلي أو وهمي أو خيالي : فالعقلي يشمل كل العلاقات التي يحكمها العقل ولا تخرج عن دائرته بأن يكون بين المسند اليه أو المسند في الجملتين اتحاد في التصور بأن يخصا نوعا أو شخصا واحدا فقول زيد يشعر ويسكتب أو وتمائل هذا في الواقع الخارجي ، أو تضاييف كما بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر .

فالأول : وهو ما اتحد فيه المسند إليه كقوله : « فاعلم أنه لا إله إلا الله والله متفقر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » محمد ١٩ والثاني : وهو التماثل كقوله تعالى « والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون . والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » الحديد ٢٩ تماثلا في الجزاء الجليل .
وتماثل للمسند كقول الشاعر :

فبيكي ان ناوا شوقاً إليهم وبيكي ان دنوا خوف الفراق
والثالث وهو التضاييف أن يكونا بحيث لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر في الذهن .

والجامع الوهمي أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كإرن البياض والصفرة : فإن اللون يبرزهما في معرض التمثلين ، ولذلك حسن الجسم بين الثلاثة في قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

أو تضاد كالسراد والبياض ، والتحرك والسكون أو شبه تضاد كالسما والارض فإن الوم ينزل المتضادين منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك نجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد ومن ذلك قوله تعالى :

« وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء
ولا الأموات » (١)

وقال تعالى « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » (٢)
« فليضحكوا قليلا وليبكيوا كثيرا » (٣) والتضاد وما يشبهه أو الطباق
بألوانه أدى دورا خطيرا في الأساليب القرآنية ، ذلك أن التقابل فطري في
النفس وأقرب طرورا بالبال ، والحياة نفسها تقوم عليه وهذا الكون المتبد
مبنى عليه ليس في الأمور المادية الحسية فحسب ، بل والعلمية والنفسية
والروحية .

وليس الضد شرًا بالضرورة ، بل هو قانون التغيير والتقلب في الحياة
والأحياء ، أليس الكون سماء وأرضا ، وليلا ونهارا ، وشمسا وقمرًا ،
وجبلا وسهلا وما وجدبا ؟ أليست حياة البشر رفعة وضعة ، وغنى وفقرا
وعزا وذلا ، وحلما وجهلا ، وبدءا ونهاية .

أليس الإنسان مجموعة صفات متباعدة ، وحالات متفاوتة : من صحة
ومرض ، وسعادة وشقاء وحب وشنآن وإيمان وكفران . لذا وجدنا الطباق
كما ينبئ عليه القرآن وهو حياة مصورة للحياة بمفهومها الكبير ، ومراة
عاكسة لقضية الإيمان والكفر ، والصراع بين الحق والباطل ، والفضيلة
والرذيلة ، وما لذلك من تشعب وتنوع وتقلب وحدة بين أصحاب الرسالات
وأتباعهم المؤمنين وبين ذوى الباطل والكفر وأشياهم .

(١) فاطر ١٩ - ٢٢

(٢) الانفطار ١٣ ، ١٤

(٣) التوبة ٨٢

ومن هنا كثر التقابل جدا في القرآن وأنه رباط معنوي يجعل الفسوق متماسكا ، يتوحد في الفكر والخيال فوق أنه نوع من التصوير وضرب من الإيقاع وشعبة من الفطرة وقبس من الحياة الدافئة .

والجامع الخيالي : أن يكون الجعم بين الشئيين اعتقاريا مسندا إلى إحدى الحواس الظاهرة والخيالي تنسع دروبه ومذاهبه وصوره حتى يلتئم الوجود في النفس للشاعرة التي تدرك خافي العلاقات بين الأشياء ، وتنظر إليها برؤية خاصة ، ومذاق معين والخيال بألوانه التي فصلها القدماء والمعاصرون من هبات الله للبشرية ، وهي قوة مبدعة ملهمة تختلف في إنسان عنه في آخر ، وما العبقرية إلا نفاذ في القوى الباطنة ، وحدة في الخيال ، وتوقد يلتحم بالوجود في إلهام مقدس ، وقد يجنح الخيال ويجمع فيؤلف بين المتناورات بعلاقات نفسية خاصة ، وقد يفرق في ذلك حتى يكون الغموض . يئد أن من الغموض ما يمكن كشف أسناره بعد تأمل ، وإعمال طاقات الإنسان ، وهي متعة ذهنية تسوق إلى متعة وجدانية فنية حين يتبدى للتصوير بعد خفاء . ويتكشف الجمال بعد سفور حجاب .

قال عبد القاهر في التمثيل : ومن المراكز في الطبع أن الشئ إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقفه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف ، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء . هل الظلمة كما قال (القطامي) :

هن يفسذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
وأشباه ذلك مما يقال بعد مكابدة الحاجة إليه . وتقدم المطالبة من
النفس به ، فإن قلت فيجب على هذا أن يكون التعميد والتعمية وتعمد
ما يكسب المعنى غموضاً مشرفاً له وزائداً في فضله وهذا خلاف ما عليه
للناس ألا تراهم قالوا إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من
لفظه إلى سمعك ؟ فالجواب أنى لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وإعانة
أردت القدر الذى يحتاج إليه فى نحو قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم - فإن المسك بعض دم الف - زال
وقوله :

وما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
وقول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
ثم قال - رحمه الله - إن هذا للضرب من المعانى كالجوهر فى الصدف
لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه... ثم ما كل فكر يهتدى إلى وجه الكشف
هما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له فى الوصول إليه ، فما كل أحد
يفلح فى شق الصدفة ، ويكون ذلك من أهل المعرفة... ثم يقول عن
التعميد « وإنما ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدر
الذى يجب فى مثله ، وكذلك بسوء الدلالة ، وأودع المعنى لك فى قالب غير
مستور ولا علس ، وإذا خرج مشوه الصورة نأتمن للحمين ، ولذلك كان

أحق أصناف التعقيب بالذم - ما يمتك ثم لا يجدى عليك ويؤرقك ثم لا يروق لك» (١).

وقوله : « أحوك إلى فسكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله » يؤكد على معيار وإن كان نسبيا - للغموض الفنى فتم درجة لهذا الغموض يتحول بعدما النص إلى معميات وطلاسم وأحاجى وألغاز ، وهذا المعيار استقر في الحس النقدى العربى قبل عبد القاهر وبخاصة حينما ظهر أبو تمام كظاهرة فنية فريدة جريئة - وإن مهد له غيره كمسلم بن الوليد - من إسراف فى ألوان البديع ومزجها بالصورة البيانية ونغمسها فى ألوان ثقافته العميقة مع عمق وإعراب وجوح خيال ، مما جعل الصور الفنية عنده كثيفة مركبة ، ثم إنه اتسكأ فى بناء الصور على علاقات بين المشبه والمشبه به أو المستعار والمستعار له جد خافية فيها بعد وغموض تخياله الفاذ وعقله الحاد .

وقد هال معاصريه بشعره ولم يرض جمهرة النقاد بمديد من أبيات شعره . وتقدمه كثيرون كابن المعتز والآمدى وحلى بن عبد العزيز والباقلانى وابن سنان وعبد القاهر - وابن رشيق - قال الآمدى : صار كثيرهما أتى به من المعانى لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع السكد والفكر وطول التأمل . ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحس . وقال منصفاً لبعض شعره ، لما فيه من لطيف المعانى ، ومستغرب الألفاظ ولكنه شره إلى إيراد كل

(١) راجع الفصل الرابع الذى عقده الامام لقضية التعقيد والغموض الفنى فى أسرار البلاغة ١٧٤٢ - ١٤٩٠ .

ما جاش به خاطره و جلججة فسكره نخلط الجيد بالردى، والعين النادر بالردل
الساقط، والصواب بالخطأ^(١) ومن بعيد استعاراته قوله :

لدى ملك من أبكة الجود لم يزل على كبد للعروف من فعله برد
حتى إذ اسرد الزمان توضحوا فيه نفودر وهو منهم أبلق
كأننى حين جردت الرجاء له عفا صببت لها ماء على الزمن^(٢)

ولبعيد استعاراته وكثرة تشخيصاته، واستعاراته التخيلية واختلاقه
علاقات بعيدة كان قريبا إلى أذواق بعض المعاصرين وبخاصة الرومانسيين
وربما كان محمود حسن إسماعيل فيه شبه من أبى تمام من حيث تكثيف
الصورة وتراكبها واتكائه على علاقات فيها بعض الغموض وهذا وغيره
كما يدور فى إطار من التجديد له جذوره عند الشعراء من قديم، ولا تبعد
عن الأطر العامة التى صاغها المقاد معبرة عن روح الشعر العربى من خلال
فصوصه الوفرة. ثم إن تقبل ما كان فيه غموض فنى زائد قليلا عن الحد
النسبى المدرك بالدوق المتقف أو رفضه محكوم فى النهاية بالجامع الوهمى أو
الخيالى. وهذا يختلف تماما عن هذا الانطلاق المفرق فى الإبهام والغموض
المطبق، الرمز المكثف فيما يسمى بالشعر الحر، الذى تضافرت عوامل عدة

(١) راجع فصل « أخطاء أبى تمام فى اللفظ والمعنى » للامدى : الموازنة
١٢٣ - ٢٥٣ والمنقول ص ١٢٥.

(٢) راجع الموازنة ٢٣٣ وباب : ما فى شعر أبى تمام من قبيل
الاستعارات . الموازنة ٢٢٨ - ٢٤٧ .

وانظر : الصبغ البدينى د أحمد موسى ٨٢ - ١٠١ والفن وهذاهبه
فى الشعر د شوقى ضيف ٢٣٢ - ٢٦٢ .

على ظهوره ، والنفخ فيه من آثار الاستعمار وحملات الاستمراق ، وأتباعه
وضرب الحركة الإسلامية في بلاد العرب ، خاصة ومحاربة التراث وتكالب
الشيوعية والصليبية أو الرأسمالية على عالم عربي مفكك ابتلى بالدولة اليهودية
مخلبا للاستعمار الغربي يزهق كل توثب أو تقدم أو طموح .

ولذا عاش كثير من الشباب التشتت النفسى والتمزق الوجدانى بين
شقى الرعى يساراً روسياً أو فكاراً غريباً مبنياً على تراث وثنى يوفانى ،
وتقاليد مسيحية متفابرة الملامح :

فالشعر الحارظاهرة مرضية أفرزتها ظروف بالغة القسوة مرت بالأمة العربية
والإسلامية ، ولأنجاة إلا بدعم الإسلام وتربية الأجيال الناشئة على قيمه
الخالدة وعلى تراثه الجليل الذى انبثق من الكتاب العزيز والحديث الشريف
ليظل العرب عرباً والشرق الإسلامى شرقاً إسلامياً ...

والواقع أن الشعر الحر نشأ بعيداً عن الحدائث ثم أصبح كثير من
رواده دطاة للحدائث وتقوم صور شعرهم على علاقات سرىالية أو عقلانية ،
إنها إباحة مطلقة بلا منطق ولا حدود ، وإسقاط لكل ما يتعلق بالتراث
وعبادة للغموض الملفز ، بمعنى أن الجامع لشتات الصورة عندما جامع نفسى
لاعقلانى ، خاص بالشاعر وطله الذى يختلفه من أحلام غير منتظمة ونفقات
العقل الباطن وشهوة إلى تدمير كل إيقاع وتلاؤم فى اللون أو فى النفس .
فالشعر الحر الحدائى فى مجله لوحات سرىالية ، والتهيف أنها تخضع
لتسهب فكرى منظم هو تدمير كل ثابت إسلامى عربى بتعطيم اللغة التى

يرون فيها - كما يقول الدكتور هدارة في محاضراته - يرون فيها اشباح السلطة التي يسكرها منها - كما يقول الدكتور كمال أبو ديب « الحداثة لا ترى موت اللغة فقط بل تراها لغة مكدسة محشوة بالسلطة وقوة ضخمة من قوة الفكر المتخلف التراكبي السلطوي » وذلك بتدمير بنية الجملة العربية وتحويلها إلى سلسلة من الإمكانيات والتداخلات وإلى لغة تعيد العالم إلى سديم أولى يهسهس ويوسوس فقط كما يقول أبو ديب لأنه حلم مجنون مرعب يفوق ما عرف العالم من بشاعة في الشيوعية أو الاستعمار الغربي الخفيف .

وينبغي على علماء العربية ومن له دين وخلق وعلم أن يقول كلمة نصرمة للغة والإسلام قبل أن يموت متخاذلا ملوما صدا لهذا السيل الجارف من العفن الذي تطالعنا به المجلات الأدبية والصحف اليومية أو الأسبوعية ونحمد الله أننا نثيرها قضية مع زملائنا وأبنائنا أينما كنا تنبها وتخصيصا -

الجامع الخيالي شاهد وتحليل :

وبدا فإن في القرآن الكريم ما نبه إليه الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله من الجامع النفسى أو تنزل الألفاظ على تداعى المعانى فى النفس بالإضافة إلى ما عهد من الجامع العقلى أو الوهمى أو الخيالى بمعنى أن أساليب القرآن الكثير تثير بعض هذه الملكات النفسية أو جميعها عقلية ووجدانية قراءتها أو سماعها ، واستشراف العلماء إلى القرآن وبلاغته ، إنما هو رصد لما ينعكس على مرآة قلوبهم وتنفعل به كل طاقتهم حسا وخيالا وقلبا وعقلا وما لا تعرف مما أودع الله فى الإنسان من حواس وملكات تستجيب للجمال وتهم به ، جمالا روحيا تطير به النفوس إلى آفاق السما والصفاء . وانظر إلى هذه الآيات التى يسميها ومثيلاتها سيد قطب رحمه الله « لوحات » فتيمة قال تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » الفاشية .

١٨ - ٢٢ .

والنظر إليها من جوانب مختلفة أو مستويات معينة فالقرآن نزل على لغة العرب وكانوا ذوى أسفار على الإبل فحين يمتطى العربى ناقته فى المهامة والقفار ويخلد إلى التفكير فلا يجد إلا صحراء ممدودة ، تبرز فيها الجبال شامخة تناطح السحاب من قريب ، ضئيلة من بعد ، كناقته الباجية التى يرتحلها وهو فى دائرة دائمة من أفق السماء المنطبق على الأرض وهو مركزها ثم إن هذه الأمور مصدر حياته وبقائه وحمايته ، إنها لوحة فنية تجمم بين السماء والأرض والجبال والإبل فى مشهد واحد ملحوظ فى أجزائه الضخامة

ومما تلقى في الحس من استهوال ، وهناك اتجاهان .. كما يقول سيد قطب -
في توزيع الأجزاء : أفق في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، ورأس في
في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة الأسنمة ، ثم إن هذه الصورة مرتبطة
الأجزاء متداخلة العلاقات في خيال العربي مرتبة حسب ترتيب الأجزاء
وقرب فقها للإنسان من الجمال وهي أنفع وأضخم الحيوانات عندهم وبها
تتحقق هذه الصورة المسافرة ويمكن بشيء من التسامح أن نقول :

إن بدء اللقطة للصورة من فوق الإبل في مستوى يصافح البصر فيه
وجه السماء وقم الجبال وعلى المدى المنبسط أرض مسطوحة وهذه الصورة
مقصود بها الدعوة إلى التفكير فيما خلق الله وصنع وأبدع استدلالاً بالمصنوع
على الصانع المبدع جل شأنه تماثلاً بين الدعوة وإشباع الحاسية الفنية كما
هو شأن القرآن الكريم (١) .

(١) راجع في الآية الرازي ١٥٨/٣٦ ويغنية الايضاح ٩٢/٢ وشروح
التلخيص ١٠٢/٣ والشهاب الحجاجي ٣٥٤/٨ والتصوير الفني ١٢٣ .

مواطن الفصل :

أشرنا إلى أن مصطلح الفصل ، لا يعنى قطع العلائق بين الأساليب ، بل الفصل والوصل : وسائل للتعبير يصطفها الأديب ليترجم بها عما يشاء من مكنونات فؤاده ، وقد يتجاوزان في فسق واحد ، وتتلاحم الجمل وتتداخل ، وتتدفق المعانى وتتشابك ، على أن ماساقه للعلماء من مواطن الفصل والوصل في الكلام البليغ لا تستوفى كل مواضعه في القرآن الكريم بمقاصده ، فقد تستط الواو في موطن لتذكر في آية مشابهة وقد تستبدل بالواو الفاء ، وقد تتجاوز الآيات دون وصل ، أو توصل دون فصل «وقد ترى القرآن يتم طائفة من المعانى ، ثم يعود إلى طائفة أخرى تقابلها ، فيكون الحسن - كما ذكر الشيخ دراز - من الناحيتين ، وملاك ذلك النظر إلى النظام المجموعى للسورة ، ولو سئل المرء أين موضع الوصل لصعب عليه تحديده بقاعدة علمية ، على أنه لو خلى نفسه ووجدانها واتصل بهذا الموضع تلاوة لأحس بروح الاتصال ، وحلاوة الانتقال قبل أن يهتدى لعلمة معينة»

وهذه الفقرة - كما قلت - من إلهامات الدكتور دراز - رحمه الله - ارتسمت على صفحة قلبه ، بما قد يعنى بعض العلماء أنفسهم في الوصول إلى بعضه دهرأ دهيراً كما ننبه أولاً إلى أنه قد يتوارد اصطلاحان على موطن واحد ، فيكون الفصل - مثلاً - لسكال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال . والنسكت لاتزامم - كما يقولون ثم إن وجود نوع من الجمعم في الآيات القروانية كالجوامع العقلية وهى أن الأسلوب متمع للعقل فحسب أو منير للخيال وحده فمن البدعى أن من سمات الأسلوب القرآنى كما أفاض في

ذلك الدارسون إثارة الجانب العقلي والعاطفي معا أو على درجة سواء ،
وإن شئت قلت : إلمانه الأسلوب الفاذا الذى يثير مانعهم وما لانعلم من طاقات
الإفسان وملكانته ومواهبه كإنسان .

مواطن الفصل :

وللفصل خمسة مواطن : الأول : كمال الانقطاع ، ويكون لأمر يرجع
إلى الإسناد أو إلى طرفيه وله حالتان : الأولى : أن تختلف الجملتان خبرا
وإنشاء لفظا ومعنى ، أو معنى ولفظا (١) .

ويبدو أن هذا سبب شكلى للفصل ، ذلك أن إحدى الجملتين تحكى من
حدث وقع ماضيا أو يقع حالا فله نسبة خارجية والجملّة الثانية إنشائية : لم
يقع مدلولها بعد فليس لها نسبة خارجية وهذا معنى قولهم : كمال الانقطاع
ولا يعنى قطع المناسبة بينهما إذ لا بد منه ليلتئم الكلام التثاما يكون حسنا
ثم تترقى الأساليب فى الحسن البلاغى حتى تصل درجة الإعجاز الذى تفرد به
القرآن الكريم ولذا فجرد اختلاف الجملتين خبرا وإنشاء لا يعنى الفصل
لعدم المناسبة - بكمال الانقطاع - بل ينبغى أن يؤول الفصل لسر آخر
بلاغى يعين عليه المنسق كسببه كمال الاتصال أو كمال الانصبل بالغا كيد
مثلا أو لتداعى المعانى فهو اذن فى نهاية الأمر - مانع بلاغى لانهوى وهو
رأى للشيخ عبد المتعال الصميدى رحمه الله تعالى - وقد أشار إلى أن
ترك اللفظ فى هذا الضرب لمانع نهوى ، فلا يصح أن يعد من أبواب
البلاغة على أن سيبويه يجيز اللفظ فى نحو « هذا زيد ومن عمرو ؟ » مع

(١) النبأ العظيم ١٥٦ .

(٢) الايضاح ٢٤٩ .

اختلافهما خبراً وإنشاء^(١) وفكرة للمانع النحوي غير ممتعة لأن هذا الضرب
- وقد جاء في الإنشائيين - لا بد أن له عديداً من الأمرار البلاغية ،
غاية ما هنالك أن يؤول سراً الفصل - لا لكمال الانقطاع - بل لتداسي
المعاني أو كمال الاتصال أو غيره حسب السياق كما سبق .

على أن الفصل المستعمل بين النحو والبلاغة قضية لا بسها كثير من
الوهم وكثير من الأحكام العامة التي لا دقة فيها قد تصل أحياناً إلى حد التجنى
والجور وإطلاق القول دون مدى ولا علم وبدون فقوانين النحو هي التي
تضمن الصحة اللغوية وبدونها لا يكون الكلام صحيحاً ولا حسناً إذ بهذه
القوانين يكون الكلام عربياً ثم تمثل البلاغة فرعاً مورفاً لهذا الأصل المريق
بمعنى أن البليغ يقصد قصداً إلى صياغة خاصة للجملية والجملة فيها ما يشاء
من معاني النحو من تقديم أو حذف أو تنكير إلى غير ذلك على صورة خاصة
من البيان تامة المعنى كاملة الخلق^(٢) معبرة عن أفكاره الخاصة ومشاعره
العينية المكنونة على ترتيب قسماً يسيطر عليه العقل ثم يتفانى البليغ في
استثمار الخصائص والمزايا اللغوية وحسن التصوير لما لم للنفس والفكر أعنى
من حيث مطابقة الكلام الفصيح باقتدار فنى لمتقضى الحال على عمومته
من حال المتكلم والمخاطب والموقف والسياق نفسياً وجمالياً وتلاؤماً
أسلوبياً .

(١) بغية الايضاح ٦٩/٢ وراجع عروس الأفراح ٢٦/٣ - ٢٧ .

(٢) راجع : دلائل الإعجاز ٣٦ - ٤٤ وموضوع : الصورة في التراث

البلاغي د. محمد أبو موسى / مجلة كلية اللغة العربية جامعة أم القرى العدد

الثاني ١٤٥٠ هـ ص ١٩٠ □

فالحسن البلاغى متفاوت لتفاوت الأساليب فى الاقتدار البلاغى وهذا
الاقتدار دائرة تتسع لكل من وهبه الله حاسة فنية، ولساناً بليغاً ، وقلباً
رقيقاً، وذوقاً مرهفاً، وحساً جمالياً، فيخرج شعراً مصفى شاعراً أو نثرًا صاحراً
وهذا باب رحب واسع المدى يسه كل عبقرى اللسان والجنان ألوف الألوف
من عشاق الفن الأدبى ومبدعيه .

ومن عجب أنه لا يتفق شاعران ولا نثران فى الصياغة والإثارة
والجمال القولى، لأن لكل بليغ بصمة فنية أو وجهاً بلاغياً أو أسلوباً خاصاً
به لا يختلط بغيره عند فاحص النظر وعالم البلاغة ثم يعلو الحسن طبقة أخرى
فوق ما سبق درجات لتكون البلاغة النبوية فى نورها الحممدى الذى
منحه الله جوامع الكلم وألهمه البلاغة ، وجعلها فيه فطرة عامة كما قال :
« أدبى ربى فأحسن تأديبى » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أفصح العرب
بيد أنى من قريش » ثم يرتقى الحسن البلاغى ارتقاءً خارقة ليعانق الأساليب
القرآنية لأنها : « تنزيل من حكيم حميد » وهى تكون البلاغة القاهرة
والجمال التدمى الجليل .

ولا شك أن لكل من النحو والبلاغة ميدانه الخاص ووظيفته المعينة
وحدوده ورسومه وأهدافه ومقاصده . ومن أظهر ذلك أن النحو - وبخاصة
بعد أن استقل بمباحثه - يضع الضوابط المستتعاة من كلام العرب ويبحث
فى الدلالات الحقيقية للأدوات وغيرها ، ويبين الجواز والخطأ فى التعبير ،
فهو فى نهايته معيار للصحة اللغوية ، بينما البلاغة تبدأ حيث ينتهى النحو
وهى فرع سامق لهذا الأصل الراسخ ، ثم إنها تستشعر قوانين النحو
(٥ - الوصل)

على وجه بلاغى يترجم عن الحس والعقل والوجدان. فالتقديم في نحو «إليك
بصيد» معنى نحوى وراه أسرار فنية بلاغية عالية نحسها من التقديم
بكفاة الاختصاص بإخلاص العبادة، وتجريد التوحيد ونقاء القلب، ووحدة
المقصد تسليماً لله وقرباً.

وقد حفلت كتب التراث بأحكام بلاغية أصدرها بعض النحاة (١)
وكانت مصدر نقد شديد من البلغاء والنقاد منذ القرن الثانى الهجرى وقد
بلغت الحملة على النحاة الذين يتصدون لقنون البلاغة ذروتها عند ابن الأثير
ضياء الدين الذى أكد أن للنحاة لا فتوى لهم فى شئون الفصاحة، وكثيراً
ما كان يذكر محاورات بينه وبين بعض النحاة فى بعض الأساليب القرآنية
والأدبية يرد عليهم أقوالهم، ويتيح له أن يزيد شموخاً وافتخاراً، وبعيداً عن
نزعة الافتخار رأينا السبكى يضح غواصل بين النحو والبلاغة لكننا
فلحظ هذا أمورا :

أولاً : أنه فى بدء التأليف فى العلوم العربية وجدنا النحو والبلاغة
يعتبران فى عديد من المؤلفات كما فى الكتاب لسيبويه والسكامل للبرد .
ثانياً : كثير ممن تقدم لتفسير كتاب الله من الأئمة كانوا نحاة بلغاء
أحاطوا بتقانة عصرهم تقريباً وحاولوا اكتشاف الأسرار البلاغية فى القرآن
انطلاقاً من المعانى النحوية ، ولم يوجد لديهم هذا التناقض الحاد بين النحو
والبلاغة كما يذكر بعض المعاصرين ، وصحيح أيضاً أن أباحيان كان عقيداً

(١) تراجع فى ذلك نظرية اللغة فى النقد العربى د. عبد الحكيم رضى
ص ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ وما بعدها .

بفنون النحو ، وكلاهما لم ينطفيء عنده الحس البلاغى ويمكن أن نذكر من هؤلاء الأئمة الفراء والزجاج والطبرى والزخشرى والرازى وأبا حيان وكثيرا سواهم .

ثالثاً : وجدنا معالجات طيبة لفنون البلاغة وبخاصة البلاغة القرآنية عند من اشتهروا بالنحو واللغة وكانت لهم نظرات نافذة رائدة كابن السجري والسهلبى وأبي حيان وأبي على الفارسي وابن جني .

رابعاً : اكتمل ببناء نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجاني النحوى وقد أقام على مباني النحو أخطر قسم من أقسام البلاغة هو : علم المعانى أو خصائص التراكيب ، وقد أحسن رحمه الله بانصراف كثير من مريدى العلم عن النحو : فبين فضله وأشاد به وجعله أصلاً للبلاغة بل إن من لا يمر فيه ولا يحلى لا يدرك حجة الله فى إعجاز كتابه ثم تنفرع عنه البلاغة متجاوزة مرحلة الصواب والخطأ إلى مراحل من الحسن والتفاوت فيه . ووصولاً إلى مرحلة الإعجاز البلاغى فى القرآن .

ولذا فمن الخطر أن يقال فى بعض الأساليب إنه جائز نحوها لا بلاغة كقولهم فى عطف الخبر على الانشاء ذلك مع أنه قد جاء فى القرآن الكريم الذى تداخلت فيه البلاغة والنحو .

ثم إن المسألة فى العصر الحديث أخذت اتجاهها خاصاً بدأ مع الاستعمار والاستشراق بشن حرب على اللغة العربية بفروعها ، وكان النحو العربى ككثرة مؤلفاته ، وملكياته وصعوبة مناجته ، وتعدد أسلوبه من أوائل العلوم العربية التى شنت عليها الغارات وتبعته البلاغة فى ذلك بدعوى المهجبة والتطوير وإن هى إلا محاولة لتدمير اللغة العربية للتيل من الإسلام والمسلمين .

ثم وجدنا الدكتور مندور رحمه الله وقد أطلق عليه شيخ النقاد في جيله يطلق اصطلاح « كسر البناء » ويعنى به أن التوهج الفنى والتأجيج العاطفى وغلبيان الافعال قد يحمل الشاعر الكبير على تعطيم القيود اللغوية أو النحوية والصرفية ، ليخرج أساليب حرة متمردة على هذه القيود ، فيها كل الجمال الأسر ، وهذا فى الواقع فهم غريب لطبيعة اللغة وطبيعة قوانينها فمع أن اختلاف اللهجات منح العلماء فرصا عديدة لجواز عديد من التعبيرات فى فروع النحو كالزمام المثنى الألف فى حالاته والجزم بثن والجر بلعل ونحوها منحت اللغة الشعراء حقا مرعيا فيما سعى بضرائر الشعر والاتساع والتجاوز شملت الاشتقاق والزيادة والحذف ، والتصرف فى البنية أحيانا ومد المقصور وقصر الممدود وصرف المنوع من الصرف وغيرها من ألوان التخفيف والتيسير لا ينكسر به بناء اللغة ولا تتحطم أصول قواعدها فلم يُفْتِ أحد بنصب الفاعل أو رفع المفعول أو ابطال الموازين فى التثنية والجمع وأسباب النصب والجر ، بل ادعى الدكتور مندور - غفر الله له - أن فى القرآن الكريم ذاته كسرا للبناء كما فى قوله تعالى : « إن هذان لساحران » « فلا يخرجكما من الجنة فتشقى » فلم يقل : « إن هذين » ولا « فتشقيان » ، وهذا إغفال كامل لما قاله المفسرون وعلماء القرآن وأمهات كتب النحو واللغة ، وبعض مثقفينا الكبار لا يلدون بكثير من هذه الأمهات . وفتتقى هنا بما نقله أبو حيان عن العلماء . قال رحمه الله عن الآية الأولى : « اختلف فى تخريج هذه القراءة فقال القدماء من الذماعة إنه على حذف ضمير الشأن والتقدير : إنه هذان لساحران وضعف

بأن حذف هذا الضمير لا يجيء إلا في الشعر وبأن دخول اللام في الخبر شاذ، وقال الزجاج : اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير : لها ساحران فدخلت على المبتدأ المحذوف ، واستحسن هذا القول شيخه : أبو العباس المبرد وغيره ، وقيل إن : « ان » بمعنى نعم وثبت ذلك في اللغة فتحمل الآية عليه .

والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بني العرب من إجراء المثني بالألف دائماً ، وهي لغة الكفانة - حكى ذلك أبو الخطاب - ولبنى الحارث بن كمب وخنم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائي ، ولبنى العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة وهي مشهورة .

وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهرى وابن محيصن وحמיד وابن سعدان وحفص وابن كثير إن : بتخفيف النون على أنها مخففة من الثقيلة واللام في لساحران : للفرق بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة (١) أما الآية الثانية فقد وجه الخطاب لها أعنى آدم وحواء ثم أفرد آدم بالشقاء في قوله : خنتقى : فاعلماء على أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أمه وفي سمادته سمادتها فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة ، وقيل أراد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك راجع إلى الرجل (٢)

(١) راجع الكشف ٥٤٣/٢ والرازي ٧٥/٢٢ والبحر ٢٥٥/٦
وأبا السعود ٢٥/٦ .

(٢) راجع الكشف ٥٥٦/٢ والرازي ١٢٥/٢٢ والبحر ٢٨٤/٦
وأبا السعود ٤٥/٦ .

ثم أخذت النظرة إلى النحو والبلاغة تتجه قريبا إلى التأثر بالفكر الغربي وقد أطلق بعض المؤلفين حديثنا على النحو والبلاغة مصطلح المنال والمنحرف فالمنال هو المستوى العادي والمنحرف هو المستوى الفني . وهذا للمنحرف أهدى النجاة أنفسهم - في زعمه - في الرجوع به إلى المستوى النحوي المنال ، ولذا كان التقدير لمخدوف أو التقدير الصوري الذي « لا يعدو في الحقيقة أكثر من كونه إجراء أو وسيلة لجبر النقص الذي يشوب ظاهر العبارة حرصا على مثالية اللغة في النهاية » ففكرة الحذف والتقدير وفكرة العامل والاهتمام بما يسمى أصل المعنى دعا إليه حرصهم على مثالية اللغة^(١) .

والواقع أن تعليل كثير من الظواهر اللغوية دلالة أو نحو أو بلاغة بأنه انحراف عن المستوى التالي فيه مجازفة خطيرة ومصادرة للتراث ذلك أن العلماء منذ بدء التأليف وإلى يوم الناس هذا يوازنون الأساليب ويسجلون الظواهر ، ويقيسون التراكيب بناء على أصول بدعية مأخوذة من طبيعة التركيب في الجملة العربية فالمبتدأ له خبر والفعل له ملبساته من فاعل ومفعول وزمان ومكان وسبب ومصدر والجملة قد تدخل أدوات عاملة أو غير عاملة الى غير ذلك مما يمثل هيكل اللغة كنظام تعبيرى للامة ، والحذف للفعل أو المفعول أو جواب الشرط مقيس على ما لا حذف فيه بدلالة القرائن فقول الله تعالى : « الآن وقد

(١) راجع في ذلك تفصيلا كتاب نظرية اللغة في النقد العربي.

د عبد الحكيم راضي ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ وما بعدها .

عصيت قبل « فيه حذف : أى الآن تؤمن ضرورة أن للظرف فعلا ينصبه وعلى هذا تطرد القوانين النحوية التي تطلب لها أسراراً بلاغية فنية ضرورة أن لكل من النحر والبلاغة وظيفة خاصة ومنهجاً وهدفاً وكل ذلك محكوم بقواعد مستخلصة من آلاف الشواهد الفنية .

ثم تقدمت القضية خطوة أخطر فأصبحت البلاغة ذاتها ثابتة أو متناهية مطلقة ، لا تخرج كغيرها من العلوم اللغوية القديمة - عديم - عن الإمكانيات الثابتة للغة العربية ، أما علم الأسلوب الحديث (فيعتمد على فكرة الاختيار والانحراف لأنه لا يتحدث عن الصواب والخطأ بل يسجل الظواهر ويعترف بما يهيبها من تفسير ويحرص فقط على بيان دلالاتها في نظر قائلها ومستمعها أو قارئها » (١) .

ثم جاء دعاة الأسس لوبية محاولين نفس كل ما ينتمى إلى الماضى والاكتماء بالتحليل البنيوي أو التحليل المختص بنظام النسق اتكاء على حال نفسية معقدة عند الشاعر ومعنى هذا الدعوة إلى التحرر الفوضوى من كل قاعدة هو ذاته القاعدة الذهبية في الشعر الحر بعد أن روج له دعاة الحدائثة بمنظور جديد خطير .

ونعود إلى كمال الانقطاع لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً والشاهد المشهور في ذلك :

وقال رائدكم أرسـوا نزاولها فحفت كل امرئى يجرى بمقدار
ملكته حبلى ولـسكنه ألقاه من زهد على غاربي

(١) راجع فى ذلك مدخل الى علم الاسلوب د. شكرى عياد ٤٤ ، ٥٥

وقال إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب
وفي البيت الأول فصل بين الأمر «أرسوا» والمضارع الخبرى «نزاولها»
أى اثبتوا وأقيموا بهذا المكان لئلا يج شعثون الحرب ونحوها لغرض
غمارها ، وفي البيت الأخير : أراد الدعاء بقوله : انتقم الله . وتلاحظ معى
أن قوله نزاولها : علة وسبب للارساء فهو جواب الأمر وبينهما من العلاقة
ما بين السبب والمسبب والأمر وجوابه وشبهه كمال الاتصال ، واضح فى
الفصل أيضاً : كما أن العلاقة بين الدعاء على المحبوس لزعمه كذب الشاعر
فى حبه فيها شيء من الترتيب والتسبب أيضاً ، والجامع العلى واضح أيضاً
فى البيتين ، وعلى هذا فالمناسبة جد واضحة فى شواهد هذا الضرب ،
وإنما التسمية بكمال الانقطاع اصطلاحية ، وإن كانت موهمة غير دقيقة .

وشواهد هذا الضرب القرآنية لا تكاد تحصر ومنه قوله تعالى (بديع
السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) الأنعام ١٠١
(ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم
تعلمون) النحل ٩٥ (ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب
والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وبينه)
الأنعام ٩٩ (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون
عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) غافر ٦٠ .

وشواهد هذا النوع تشمل المواطن التى جاءت الأخبار فيها الأوامر
بعد الأوامر والنواهي والاستئناف لشيء كمال الاتصال خير به
الفصل لوضوحه .

عطف الجملتين المختلفتين خبراً وإنشاءً :

والواقع أن ما اختلفت فيه الجمل خبراً وإنشاءً : الأصل فيه والغالب في أساليبه الفصل ومن غير الغالب : فهناك أساليب قرآنية عطف فيها الخبر على الإنشاء أو العكس ظاهراً وكانت موضع أخذ ورد بين العلماء منذ سيبويه ، ذلك أن هذا العطف في الجمل التي لها محل من الإعراب جائز بلا خلاف فيه بين العلماء ، كقوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وهذا غير ما ذكره السكاكي من جواز عطف المختلف خبراً وإنشاءً إذا اشتمل للمقام على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب ، أو الطلب معنى الخبر ، مع الاشتراك في الجهة الجامعة كقوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذو القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً » البقرة ٨٣ ، إذ لا يخفى أن قوله « لا تعبدون » متضمن معنى : لا تعبدوا وهو موضع التوسط بين السكاكين (١)

أما عطف ما اختلف خبراً وإنشاءً ، في الجمل التي لا محل لها ، فقد كان موطن خلاف . أجزاه كثير من النحاة كالصغار وجماعة وقتل أبو حيان عن سيبويه جواز عطف المختلفين بالاستفهام والخبر في نحو : هذا زيد

ومن عروء؟ ومنعه كثير من البلاغيين وبعض النحاة كابن مالك وابن مصفون
وقال السبكي هنا : يجب الفصل بلاغة^(١)

وقد تناول علماء البلاغة النصوص التي ظاهرها عطف الخبر على الإنشاء
- فيما لا محل له - تأويلات تسلم به قاعدة الفصل بأن يكون من عطف
مضمون جملة أو مضمون كلام على آخر أو من عطف القصة على القصة ،
وهو رأى الزمخشري . أو العطف على مقدر دل عليه السياق ، والإجمال
هنا لا يفنى عن التفصيل والتحليل والموازنات ، ذلك أن ذكر الواو
وستوطها ، وإن دار الكلام فيه على الجواز فيما له محل من الإعراب لم يجد
له تفسيراً بلاغياً أعنى لظاهرة ذكر الواو قليلاً وتركها كثيراً ونعالج ذلك
من خلال الأفعال والله المستعان .

الفعل نعم (٢) :

قال الله تعالى « ووهبنا لداود سليمان نعم للعبد إنه أواب » ص ٣٠
وعن أيوب « إنا وجدناه صابراً نعم للعبد إنه أواب » ص ٤٤
وعن موقف المؤمنين من تولى الكافرين « وإن تولوا فاعلموا أن الله
مولاكم نعم المولى ونعم النصير » الأتقال ٤٠ . وعن موقفهم من احتشاد
الكفر ضدهم « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » آل عمران ١٧٣

(١) راجع عروس الأفراح ٢/٢٦ والاتقان ٢/٣٨٢ .

(٢) راجع المعجم المفهرس ٧٠٩ وفي المادة بعض الآيات تركناها اكتفاءً

بما ذكرنا .

ومن جزاءات الآخرة :

• متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا « الكهف
٣٠ وقبلها من جزاء الظالمين « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا «

ومن جزاء الذين اتقوا وتمقيبا عليه « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين « الزمر ٧٤
وفي الثائبين من الذنوب « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين « آل عمران ١٣٦
وقال تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئتهم من الجنة غرفا
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين « العنكبوت ٥٨

ونلاحظ في الآيات التي عقت بالتمل نعم مدحا لبعض الأنبياء أو بيانا
لكمال التفويض من المؤمنين أو مدحا وبيانا لجد لال الجزاء الأخرى
وعظمته نلاحظ أن جملة المدح جاءت بالواو والفاء وبدونها

ونبدأ بالآية « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل « واللفظ حسب بمعنى
كاف إذا أضيف إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين (١) وجاء به - لفظ
الجلالة فواضح فيه معنى الإخلاص والتفويض والدعاء المتبتل كقوله تعالى
« فإن تولوا قل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت « التوبة
« إن أرادنى الله بضر هل هن تمسكات ضره ، أو أرادنى برحمة
هل هن تمسكات رحمة قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون « الزمر ٣٨

(١) راجع المادة فى المعجم المفهرس ٢٠٠ ، ٢٠١ .

وحجىء هذه العبارة على ألسنة النبي الكريم والمؤمنين يدل على كمال
التضرع والتسليم ومنه « وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله ورسوله من فضله إنا
بإلى الله راغبون » التوبة ٥٩

ونلاحظ هذا الفصل بين حسبنا الله لما فيها من معنى الدعاء فهى إنشائية
وبين سيؤتينا لأنها خبرية . ولذا جاء الوصل بين حسبنا الله ونعم الوكيل
لأنهما إنشائيتان الأولى دعائية والثانية لإنشاء المدح وعليه فليستا من
عطف الإنشاء على الخبر .

أما آية التوبة ١٢٩ والزمر ٣٨ فما بعد لفظ الجلالة نعمت له جار عليه .
أما التعقيب على الجزاءات المرضية بما يفيد جلال هذا الجزاء وعظمته
تصويرا له ورغبا فيه فقد تنوع في القرآن هذا التعقيب المنفخم أسلوبا كقوله
« وذلك الفوز العظيم أو والله ذو الفضل العظيم أو رحمة منا أو نعمة من
عندنا أو نعم أجر العاملين مع تنوع في الصياغة تناسبها مع النسق أو الجملة
نعم أجر العاملين إذا جاءت بالفاء كآية الزمر ٧٤

والفاء فيها الترتيب والتعقيب وشيء من السببية تفخما للجزاء . ونلاحظ
اختلاف فاعل القول فهو أولا « تقبوا من الجنة ... » المنعمون والثانى :
من جهة الحق سبحانه أو على ألسنة الملائكة ومنه « سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد ٢٤

وقوله تعالى : ولقد نادانا نوح فلنعم المحييون » كما أن التعقيب حين
يعطف على الجزاء بالواو فهو لون من التفضيم والتكريم وإن كانت العبارة
فى ذاتها دالة على دوام البطالة كما قال « للذين آمنوا الحسنى وزيادة »

وعلى التكرير وتفريخ قلوبهم كما قال الرازي (١)
وزيادة التفخيم واضح جدا في آية النحل « ولدار الآخرة خير ولنعمهم
دار المتقين » بلام التأكيد وواو المطف .

أما آية آل عمران « ونعم أجر العاملين » فقد جاءت الواو - والله أعلم
لتبيين أن جزاء التائبين « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا
الله فاستغفروا الذنوبهم » الآية .

هذا الجزاء وإن قل عن جزاء المتقين « جنة عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين » فهو جزاء نخم في ذاته تناسبا مع قدرة الله ورحمته حتى
لا يظن أن نزول رتبهم عن المتقين مؤثر كثيرا في عظيم جزائهم .

أما آية العنكبوت « نعم أجر العاملين » فقد جاءت على الأصل من
الفصل ومثلها آية الكهف : متكئين فيما على الأرائك نعم الثواب .
وفي الظالمين الذم : بنس الشراب .

رما جاء على الأصل آيتا داود وأيوب نعم المبد : وقوله تعالى : فاعلموا
أن الله مولاكم نعم المولى فقد أعرب أبو حيان مولاكم خبر إن ويجوز أن
يكون رعطف بيان وجملة المدح خبر الله (٢) وعلى الإعراب الأول تجرى
الجملة على لفظ مولاكم حالا أو خبرا ثانيا .

وفي الموازنة بين آيتي آل عمران والعنكبوت يرى الإسكافي والكرمانى
أن الآية في آل عمران مبنية على تداخل الأخبار والخبر إذا جاء بعد خبر

(١) تفسير الرازي ٨٦/٢٥ .

(٢) البحر ٤٩٥/٤ .

في مقام تفصيل المواهب المرغب فيها فحقه أن يعطف على ما قبله بالواو .
فصار المعنى جزاؤهم ترك المؤاخذة بالذنب ودخول الجنة والخلود فيها ،
وذلك تشريف وكرامة للعاملين ، أما في المنكبات فالكلام فيها مدرج
على جملة واحدة هي تبوئة المؤمنين غرفاً في الجنة وهي جملة ابتداء وخبر
لم يعطف عليها بالواو لأن الجملة في موضع خبر المبتدأ كأنه قال ذلك نعم
أجر العاملين وتجري مجرى ما هو من تمام الكلام كقولهم ما يشاءون
عند ربه ذلك هو الفضل الكبير (١) ويبدو أنهما لم يلحظا معنى الإنشاء
في نعم فاجراها مجرى الأخبار العادية .

صفوة القول أن الأصل فعل الجملة الإنشائية بنعم عما قبلها وإذا وصلت
بالواو فذلك للتنبيه على مزيد الأجر وجليل الجزاء وسابغ الرحمة فكان
الواو تقييداً مزيداً من الاتصال بين المتعاطفين .

وكان هذا الخروج عن المألوف في الصياغة كهذه الأحاليب التي تخرج
عن مقتضى الظاهر كالالتفات وكدخول هل على الجملة الأممية وغير ذلك
عما يحدث مرة فمرة وعلمية تستقطب الانتباه وتثير الفكر ومن عجب
أن يأتي الأسلوب بالواو في آية آل عمران الأولى لبيان إشارات الرحمة
والمنة والفضل للتائبين والثانية في قوم باعوا أنفسهم لله بيمينهم وأبى
المشركين الب عليهم « فزادهم إيماناً » فشهوة الإيمان الصادق قد تسمى
وربما في جودهم استعداداً للجهاد في سبيل الله وقالوا حسبي الله ونعم الوكيل
جمع التفويض ثناء على الله والآية ذكرت ما نطقوا به تكريماً لهم ورضاً
للاُسوة بالبادرة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم (١)

(١) راجع في معنى الآيتين ومناسبتيهما أبا السعود ٨٧/٢ ، ١٥٧٤/٢

الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء ولا محل لها

الفعل بشر :

جاءت الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء وهي لا محل لها وقد أطلق على هذه الواو أنها استثنائية وللابتداء والقطع ورجح الزركشى أنها واو العطف ولكنها لا تفيد التشريك في الحكم لا نفيا ولا إثباتا ولا في الإعراب بل هي مجرد الربط وللزخشري وجه من الرأى فيها حله بمناسبة تأويله لآية البقرة وآية الصف :

قال تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها للناس والحجارة أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . . . » الآية . البقرة ٢٣ - ٢٦ وقال تعالى عن الإيمان والجهاد وجزائهما « ينظر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » الصف ١٢ ، ١٣ .

والزخشري يرى أن الواو كما فى آية البقرة قد تنجى بين قصتين بأن تعطف مجموع جمل مسوقة لفرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لفرض آخر

(٢٧) (٢٧) (٢٧)

فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد الجمل قال السيد « وقد اقرد في الكشف بذلك إذ عطف الأمر يحتاج إلى ما يشاكله من أمر ونهى حتى يصح العطف ، وتبعه أبو البقاء والرازي وأبو حيان كما أجاز في الكشف أن بشر معطوف على اتقوا وتبعه الرازي وضمفه أبو حيان لأن عطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر ، يحسن إذا صرح بالنداء وإلا فقد منعه النحاة ورأى السكاكي أنه معطوف على قل مقدرًا قبل « يا أيها الناس » ورد بأن قوله تعالى : « وإن كنتم في ريب » لا يصلح أن يكون مقولاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، واختار القزويني أنه عطف على مقدر أي فأندر وبشر كما قال في الكشف « واهجرني مليا » أي فأحذرنى واهجرني. قال السيد وهذا أحسن ما قيل ههنا » والسيد يشير إلى إفادة القزويني من الزمخشري على العموم وإن بدا أنه رأى مستقل وقد أيد الدكتور محمد أبو موسى - في دراسته الجادة - الزمخشري في جعله الواو هنا ونظائرهما من عطف القصة على النصة ، ولا شك أن فكرة عطف المضمون فكرة اجتهادية تتناسب وما قاله العلماء في التناسب بين الآيات القرآنية وهو ما أشار إليه الدكتور محمد عبد الله دراز فيما سبق (١) .

وأما آية الصف عطف وبشر على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا وهو رأى

(١) راجع في الآية : الكشف بحاشية السيد ٢٥٤/١ والرازي ٢/٢٢٧ والبحر ١/١١٠ والمفتاح ٢٥٩ وبغية الايضاح ٢/٨٧ والمطول ٢٦٣ والاطول ١٨٢ ودلالات التراكيب ٣٤٦ والاتقان ٢/٢٨٢ .

(٢) في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله » (١) .

الزخشرى ورد بأن الخطاب في « تؤمنون » للمؤمنين وفي : بشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وبأن الظاهر في تؤمنون أنه تفسير للتجارة في قوله تعالى : « هل أدلكم على تجارة تمجيكم من عذاب أليم » وليس فيه معنى الطلب ، ولذا قال للسكاكي الأمران معطوفان على قل مقدره قبل « يا أيها » وحذف القول كثير وقد بدأ أبو السعود بهذا الرأي لرجاحته^(١) .

ومن الآيات التي جاء فيها هذا الفعل : بشر بالأمر معطوفا في الظاهر على جملة خبرية وتقدير العلماء : أمرا معطوفا عليه قوله تعالى : « والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » التوبة ١١٣ وقوله تعالى : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » ٤٦ ، ٤٧ الأحزاب أي فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين وفي آية التوبة أنذر وبشر وقد جاء صريحا في آية يونس ٢ : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » والواقع أن الفعل بشر بالأمر جاء في تسعة عشر موضعا في سبعة آلفاء وفي أحد عشر بالواو قدمنا نماذج لعطف القصة منها وعطف الأمر على أمر آخر مقدر مناسب وعطفه على أمر ظاهر كآية يونس كما جاء في أسلوب واحد دون عطف في قول الله تعالى : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم

(١) راجع في آية الصف : الكشاف ١٠١/٤ والرازي ٣١٨/٢٩

والمفتاح ٢٥٩ وأبا السعود ٢٤٦/٨

فازدادوا كفرًا لم يكن الله ليقرر لهم ولا ليهديهم سبيلاً بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً النساء ١٣٧ ، ١٣٨ وأمثل الآراء فيها ما ذكره الرازي ناقلاً أن الآية الأولى في المنافقين لتقلب حالهم ، والثانية في جزائهم (١) . وكان الآيه الثانية منصلة بالأولى على طريقة ذببه كمال الاتصال والتداعي النفسى كأنه قيل : ما جزاؤهم ؟ فذكرهم بادئاً بأنهم بهم بذكر بشر بدل أنذر ، وبذكر وصفهم التبييح وصحانهم وتهدأ لسوء الجزاء .

وقال تعالى من آية الدين « ولا يضار كاتب ولا شهيد وأن تقعوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » .

والعلماء على أن الأرجح في « ويعلمكم الله » أنها مستأففة لا موضع لها من الإعراب ، وقيل في محل نصب على الحال من الفاعل أى اتقوا الله مضموناً لكم للتعليم والهداية ، وهو بعيد والجل الثلاث الأخيرة كل منها مستقلة بنفسها - كما قال أبو حيان - لا تحتاج إلى ربط الضمير بل اكتفى فيها بربط حرف المطف ، وليست في معنى واحد ، فالأولى حث على التقوى والثانية تذكير بالنعمة ، والثالثة تتضمن الوعد والوعيد ، قال : وفيه رد على من يتمثل بها على أن التقوى تورث العلم دون تعلم « يعنى رحمة الله : أن القرآن لو أراد هذا المعنى لحذف الواو وجعل « يعلمكم الله » جواباً للأمر بالقائه أو بدون عاطف بل الآية تذكر بنعمة الله المتعلقة بالعلم بمطلق الأشياء .

(١) تفسير الرازي ، ج ١ ، ص ١٧٧

من المهد إلى اللحد تيسيراً للحياة وانقطاعاً بما لا يكون . أما العلم فهو أساس الإسلام وأساس التقوى ، والتقوى سبب من أسباب التوفيق في شئون العلم والحياة جميعاً . وإعادة لفظ الجلالة في الجمل الثلاث تعظيماً لأمره وتوبيخاً للمهابة وإدخال الروعة . أمراً بفقواه ، ومنناً بمنه تعالى بنعمه ، وولعناً ووعيداً بمجازاة عادلة للقاسق والميتق^(١) تعظيماً لشأنه ، ويرى البيضاوى وتابعه الشهاب أن قوله « ويعلمكم الله » وعد بالإتمام أى لإنشاء الوعد والجملة الثالثة لإنشاء المدح والتعظيم^(٢) .

والرأى بأن الجملةتين الأخيرتين لإنشاء الوعد والتعظيم ، لا يدل عليه النسق أو القرائن ضمـ وتأويل للفظك بوجه متكلف . والرأى ما تقدم من أن الواو مجرد الرِّبْط اللفظى ، والجمل مستأنفة وبينها رباط معنوى ، يسببها سبباً واحداً ، أكدته تكرار لفظ الجلالة فيها مستنداً إليه ومفعولاً به للاتقاء .

ومما جاءت فيه الواو للاستئناف ربطاً بين جملتين قوله تعالى : عن المشابهة في القرآن الكريم « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » آل عمران ٧

(١) راجع فى الآيه البحر ٣٥٤/٢ ومعنى الآيه فى الرازى ١٧٩/١٧

وأبى السعود ٢٧٨/١ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٣٥٢/٢ .

رجح أبو حيان أن الجملة : والراسخون مستأنفة والواو للاستئناف
نهي لمجرد الربط ذلك لأن الله مدح الراسخين لقولهم آمنا به . ولو كانوا
عالمين بتأويل المتشابهة على التفصيل لما كان في الإيمان به مدح ، وهو قول
ابن مسعود وأبي ، وابن عباس ، وعائشة والحسن ، وعروة ، وعمر بن
عبد العزيز وحشد من التابعين والعلماء وهو يرد على رأى الزمخشري والمنزلة
ومن اتبهم في إدراك العلماء للمتشابهة بالتأويل وعليه فالراسخون مطوف
على لفظ الجلالة وجملة يقولون : حالية .^(١)

واملك أدركت الآن من إزجائنا لهذه الشواهد أن واو الاستئناف
التي تأتي للربط بين جملتين مختلفتا خبرا وإنشاء لا يجوز أن تطبق عليهما
رأى الكشاف من أنه عطف مضمون جملة على جملة إذ توهم ذلك بين
العلمين المختلفين لا مساع له كما ذكر سيد شريف الذي حلل الشاهد
المصنوع الذي ساقه الزمخشري وهو : زيد يعاقب بالقييد والإرهاق وبشر
عمرا بالعمو والإطلاق ، فيبدو أن هنا جملة واحدة عطفت في الظاهر على
ما ليس يصح عطفها عليه من عطف الإنشاء على الخبر فيما لا محيل له
والجواب كما قال الشيد الشريف : أنه أشار بما ذكره إلى قضيتين متقابلتين
فكأنه قال : زيد يعاقب بالقييد والإرهاق فما أسوأ حاله وما أخسره فقد
ابتلي وأحاطت به سيئاته الى غير ذلك مما يناسبه ، وبشر عمرا بالعمو
والإطلاق فما أحسن حاله ؟ وما أنجاه وأربحه ... الى أشياء أخرى تليق

(١) راجع فى الآية الكشاف ٤١٣/١ والبحر ٣٨٤/١ ودقائق التفسير

لابن تيمية ٩١/٢ جيمود مجيد السيد والبرهان ١٠٢/٤ (٢)

بتلك البشارة» (١) وعلى هذا فرأى الكشاف مقيد بالقصص ونحوه من الكلام للشتم على جل .

ويتصل بهذا أن كثيراً من القصص القرآني جاء بالواو وقليلاً منه جاء بدون الواو كما أن الكلام المستأنف الجديد عن سابقه جاء بالواو وبدونها ولا شك أن هذا محتاج إلى تتبع واع دقيق ، فإن لكل سياق دلالة الخاصة وإجماع واقتضاه المعين الذي يوجب ذكر الواو أو تركها ثم إن مجيء الواو صدر القصص ينبغي عن علاقة بين المتعاطفات في القصص من إشارة العبرة والتأمل ، والوعد والوعيد وتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير جداً نحو « واذكر في الكتاب مريم ، واذكر في الكتاب إبراهيم ، واذكر في الكتاب اسماعيل في سورة مريم ومن المتشابه ما ذكره الكرماني في تعليل سقوط الواو في قوله تعالى : « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه » الأعراف ٥٩ بدون الواو ، واذكرها في « ولقد أرسلنا نوحاً » في هود ٢٥ والمؤمنين ٢٣ .

لأنه لم يتقدم الأعراف ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون هذا عطف عليه ، بل هو استئناف كلام ، وفي هود تقدم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مرات ، وفي المؤمنين تقدم ذكر نوح عليه السلام ضمناً في قوله : « وعلى الفلك تحملون » ١٢ . لأنه أول من صنع الفلك ، فعطف بالسورتين بالواو (٢) .

(١) راجع حاشية السيد على الكشاف ٢٥٤/١ . (٢) أسرار التكرار ٨٢ وحاشية الشهاب ١٧٨/٤ .

ومن ذلك ما ذكره العلامة الطيبي في شرح الكشاف عن قوله تعالى
من سورة البقرة « يسألونك ماذا ينفقون » آية ٢١٥ « يسألونك عن الشهر
الحرام » آية ٢١٧ « يسألونك عن الخمر والميسر » آية ٢١٩ « ويسألونك ماذا
ينفقون » آية ٢١٩ « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير » آية ٢٢٠
« ويسألونك عن الحيض قل هو أذى » آية ٢٢٢ .

وجه العطف والترك على ما في الانتصاف هو أن أول المعطوفات
« ويسألونك ماذا ينفقون » - هو ذات السؤال الأول بدون واو لكنه
أجيب بالمصرف الأتم وإن كان المستول عنه المتفق ، ثم أعيد ليذكر
السؤال عنه صريحاً وهو العفو الفاضل عن حاجته فيتعين عطفه ليرتبط
بالأول ، والسؤال عن اليتامى لما كان له مناسبة مع المنفعة باعتبار أنهم
إذا خالطهم ألقوا عليهم عطف على ما قبله ، ولما كانوا اعتزلوا عن مخالطة
اليتامى فاسب ذكر اعتزال الحيض ، لأنه هو اللائق بالاعتزال فلذا عطفه
لارتباطه بما قبله وإذا نظرت إلى الأسئلة الأول وجدت بينها كمال المناسبة
إذ المستول عنه : الذنقة والقتال والخمر فذكرت مرسله غير متعاطفة وهذا
من بدائع البيان كما قال الشهاب^(١) .

وعلى هذا فالانفاق في الفرض الخاص أو المعنى الظاهر مع الاتفاق في
الأسلوب وطريقته هو الذي يسوغ العطف أو وجود الواو الرابطة فإن تعدد
ذلك ولم يبق إلا التقاء في الفرض العام بما يمكن أن تتم به معالجة الفكرة
من نواحيها كان الفصل والقطع وتأمل ما قاله العلماء عن وجه الربط بين

(١) وراجع حاشية الشهاب ٣٠٧/٢ .

قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » بعد آية الكتاب وأنه هدى للمتقين وصفات المتقين وجزائهم . وقوله تعالى : بعد جزاء المؤمنين « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فإعملون أنه الحق من ربهم » الآية : البقرة .

وقد صدرت الجملتان « إن الذين كفروا » « إن الله لا يستحي » إشهاراً بالانقطاع ومع نفي سيد شريف أن يكون استثناء وقع جواباً عن سؤال وتضعيفه أن يكون كذلك متابعة للاشمسرى والسكاكى رجح الشهاب والشيخ دراز أنه استثناء بياني^(١) ويؤيده ما كثر في نظائره القرآنية من الجمع بين المتقابلات في التمازج والأحداث والأعمال والصفات والجزئات دون عاطف قوة في الجزالة تصويراً وتداعياً للمعاني نفسياً بمعنى الإثارة والنظرية والجذب الأسلوبى .

وفي الآية : إن الله لا يستحي : فيها وجهان عن الارتباط كما نقل الشهاب الأول ربطها بقصة المنافقين وتمثيلهم « مثلهم كمثل الذى استوفد فارقاً » فهو تمثيل ثان يدخل منه المنافقون دخولاً أولياً والثانى : أن الآية مرتبطة بآيات التحدى بالقرآن ذكرت لدفع الطعن منه بعد ثبوت إيجازه . وقال الطيبى نظم الآية بما قبلها نظم قوله إن الذين كفروا سواء عليهم .. الآية . في كونها جملة مستطردة والاستطراد من أدق وجوه الارتباط .

(١) راجع حاشية السيد ١٤٩/١ وحاشية الشهاب ٢٥٨/١ والنبا

المعظم ١٦٦ .

وفكرة الاستطراد في الآيتين واهية جدا لا تناسب النظم القرآني وتماثفه وتناسبه المضوى والأرجح رأى الرازى الذى جعله الشهاب وجها ثانيا من وجهى الارتباط ، كما يبدو من تحليل الرازى لأن ، ونقله عن عبد القاهر فى وجوه استعمال إن فى تفسيره للآية الأولى إن الذين كفروا ما يشير إلى أنه يرى أنها جواب عن سؤال (١) .

وقد يختلف العلماء فى الواو بين كونها استثنائية أو حالية تتعلق بما قبلها كقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » (٢) فى رأى الرازى أن الواو ليست عاطفة للتخالف الجملتين الإسمية والفعلية ، وليست للاستئناف لأن الأصل أن الواو تربط ما بعدها بما قبلها فيبقى أن تكون للحال وقال أبو حيان : « الجملة لا محل لها وتضمنت معنى التعليل كأنه قيل لفسقه » وقدمه أبو السعود وذكر القول بالحالية بصيغة المبريض .

على أن التخالف بين الإسمية والفعلية لا تمنع العطف ، صحيح من أن من تمام التناسب اتفاق الجملتين فى الإسمية والفعلية لكن قد يخالف هذا الأسرار بلاغية توجب الخروج عن المؤلف حين يراد من الإسمية إفاة النبوت والدوام نزولا على مقتضى المقام تأمل قوله تعالى « أولم يروا

(١) راجع الرازى ٣٦/٢ ، ١٣١/٢ والشهاب ٢٦٠/١ ، ٨٢/٢ .
(٢) الأنعام ١٢١ وراجع فيها الرازى ١٦٧/١٣ وليس فيه رأيه الذى نقله السيوطى فى الاتقان ٣٨٣/٣ وراجع البحر ٢١٣/٤ وأبى السعود ١٨٠/٣ .

إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن أما يحسكن إلا الرحمن « الملك ١٩ لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة ، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل فيها - كما يقول في الكشاف - مد الأطراف وبسطها ، أما القبض قطارىء على البسط للاستظهار به على التحرك على معنى أنهم صافات ويكون منهن القبض قارة بمد قارة والمشهد يبدأ بالسكون الكامل أعان عليه المد في صافات ثم حركة حية بعدها (١) . وتلاحظ في جرس يقبضن بالقلقلة في القاف وتوالي متطمين مغلقين تصوير الحركة في قوة وسيطرة وانتظام .

وتأمل التهديد الرهيب لطوائف النصارى أو اليهود والنصارى في شأن عيسى وأمه عليهما السلام وإن جاء بالفاء قال تعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » مريم ٣٧ وهو يوم الهول الأعظم دلالة على ثبوت الويل والشبور أبداً وذكر كفرهم إفادة لعلة الحكم واستحقاق الجزاء (٢) .

(١) راجع الكشاف ١٣٨/٤ ونظم الدرر ٢٥٣/٢٠ والتصوير الفني

(٢) راجع أبا السعود ٦٥/٥ .

النوع الثاني من كمال الاقتران :

انتفاء الجامع بين الجملتين بسبب انتفائه عن المسند إليه أو المسند
فيهما كقولك : زيد طويل وعمرو قصير إذا لم يكن بين زيد وعمرو
علاقة ما ، وقولك ومحمد نائم إذ لا علاقة بين الطول والنوم . وانتفاء
العلاقة والمناسبة يعنى أنه لا مكان للواو ، لضياح المناسبة والتشريك ، غير
أن هذه المناسبة خاصة ، وهذا الجامع جامع نوعى خاص ، وننبه هنا إلى
أمرين :

الأول : أن ضياح المناسبة العامة والخاصة بين أجزاء الكلام ضرب
من البتر والخلط ، لا يقع في كلام العقلاء ، وقد يحدث لبعض الشعراء أن
تدركهم بعض الآفات النفسية فيغيب الوعى أو تهمد العاطفة ، فيجد
الاقتران أو التخلص المستكره . بسوق الكلام سوقا دون رباط سواء
جاءت الواو أم سقطت . وقد يحدث هذا عند كبار الشعراء كالمتمنى حين
يقول :

أعز مكان في الدنيا صرح ساج وخير جليس في الزمان كتاب
وبحر أبو المسك الخضم الذى له على كل بحر زخرة وعباب
فأى مناسبة بين فجع الكتاب وكرم أبي المسك كافور
وقوله :

أحبك أو يقولوا جر نمل ثبيرا أو ابن ابراهيم ريبا
وقول أبي تمام :

لا والذى هو عالم أن النوى صـ ير وأن أبا الحسين كريم

وقول المتنبي فيما نقله صاحب الوساطة من مأخذه :
جللا كما بي قلبك التبريح أغذاء ذا الرشا الأغن الشيخ
وقد أنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في المناسبة
بين شكواه من تعذيب التبريح والهوى له وبين استفهامه عن غذاء الحبيب
وأنه عربي قح من سكان البادية . وخيانة الطبع ، وسقطات الشعر لا ينجو
منها شاعر موهوب ، ومثله شعر الحكمة والنصائح قد نجد حشدا من
النصائح المتفاوتة لا يجمعها إلا أنها نصائح كما نجد عند أبي العتاهية من
قوله مثلا :

لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيوقة
كل امرئ في نفسه أعلى وأشرف من قرينه
وقوله :

إنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه^(١)
الثاني : أن الجامع نوعان : جامع خاص ، ومناسبة خاصة وهي التي
تصحح العطف ويوجد حيث توجد ، والثاني جامع عام . وعلاقة عامة
تصحح ربط الكلام والتأوه ببعضه ، وسلامة تيسقه وهو كثير جدا في
القرآن يعتمد على إثارة كواهن النفس وتدهم المعاني والنصوير بالتضاد
والمقابلة بحيث تكون المعاني أخيراً كلاما مفصلا الأجزاء متداخل الظلال
كقول الله « ذلك جزاؤم جهنم بما كفروا ، واتخذوا آياتي ورسلي هزوا

(١) راجع الوساطة ٢٤١ وما بعدها . وجواهر البلاغة ٢٠٤ .

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴿٢١﴾
وقل تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر
إننا اعتدنا للظالمين فإرا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً إن الذين الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » (٢) « أولئك لهم
الجنة وهم سوء الدار الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (٣) وقال تعالى :
« الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان » (٤)
فالعلاقة الخاصة بين المسند إليه والمسند في الجملتين معدومة ، لكن
المناسبة العامة جليلة لأن الشمس والقمر وما عطف عليهما أثر من آثار
القدرة والرحمانية .

وفي سورة الحديد تتابع صفات الله وأثار صفاته . بدء السورة وآثار
الصفات المتفرعة عن الصفات ولذا يجوز في غير القرآن إظهار العلاقة التي
تدركها النفس في أثارها في شكل علاقة لفظية هي للقاء .

كقول الله : « وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض يحيى
ويميت » (٥) « له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ، يولج

(١) الكهف ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) الكهف ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الرعد ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) الرحمن ١ - ٦ .

(٥) الحديد ١ ، ٢ .

بالتلليل في النهار ويوبخ النهار في الليل»^(١)

والواقع أن توزيع الحروف في القرآن كالوار والفاء وثم ، أو تبادلهما أو إسقاط بعضها ومجيء الأسلوب على الاستئناف في كل ما تشابه فيه السياق أو لم يشابهه في كل ذلك محتاج إلى دراسة جادة تكشف النقاب عن أسرارها ومع الطاقة وتتابع ما بدأه الله في أصرار التنزيل .

ونكتفي هنا بشاهد أو شاهدين : قال تعالى في سورة ق ٢٢ - ٢٨ « لقد كنتم في غفلة من هذا فكشفنا عنكم غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه : هذا ما لي عتيد ، ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير معتد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر فآلتياء في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطفيقته ولكن كان في ضلال بعيد .

قال الكرمانى : الأول خطاب الإنسان من قرينه ومتصل بكلامه :

والثاني : استئناف . خطاب الله سبحانه به من غير اتصال بالمخاطب الأول وهو قوله « ربنا ما أطفيقته » ولذا جاء جوابه ألقيا هنا من غير واو : لا تختصموا لدى^(٢) ويقرب أن يكون الأول من عطف أحداث متصلة بالإنسان والثاني يشبه أن يكون شبه كمال اتصال على تقدير سؤال فإذا قال القرين بعد إلقاء الإنسان الكافر في جهنم وبيانا لتفروع الخطاب واتجاهه وجهة أخرى بين الله والقرين^(٣) ومنه قول الله ٥٠ الأنعام : « فقد كذبوا بالحق لما جاؤم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا

(١) القرآن ١٠٢ : ١٠٢

(١) الحديد ٥ ، ٦ .

(٢) انظر أسرار التكرار : للكرمانى ١٩٦ : ٢٢ ، ٥٧ ، ١٠٢

(٣) انظر البيضاوى : الشهاب ٨/٩٠ .

به يستهزئون ، ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض
ما لم يتمكن لهم « وجاء هنا ألم يروا بدون عاطف لا لاختلاف الجملتين
خبرا وإنشاء بل لتعصد الاستئناف والاستدلال على إهلاك المكذبين وفي
الاستفهام تقرير وتوبيخ ، وقد جاء هذا التمييز في آيات متشابهة يواو
«المطف أو بالفاء مؤخر عن الهمزة لتصدر الاستفهام .

» أو لم يروا كم أهلكنا ، ألم يروا حيث يراد العطف بالواو أو الفاء
لشدة الاتصال بما قبلها وحين يراد بالرؤية الشاهدة ولذا يقدر المعطوف
عليه جملة محذوفة أي اكدبوا ، ولم يروا أي لم يشاهدوا مصارع المكذبين
وبينها آية الأنعام الفعل يرى بمعنى يعلم ويعتبر ويستدل فانظر كيف كان
ذكر حرف أو حذفه دالا على حشد من المعاني الخاصة التي تتعلق به ^(١)

وحيث يراد بالواو أو الفاء العطف لما قبله لما قبله لما قبله
لشدة الاتصال بما قبلها وحين يراد بالرؤية الشاهدة ولذا يقدر المعطوف

عليه جملة محذوفة أي اكدبوا ، ولم يروا أي لم يشاهدوا مصارع المكذبين

وبينها آية الأنعام

الفعل يرى بمعنى يعلم ويعتبر ويستدل فانظر كيف كان

ذكر حرف أو حذفه دالا على حشد من المعاني الخاصة التي تتعلق به ^(١)

وحيث يراد بالواو أو الفاء العطف لما قبله لما قبله لما قبله

لشدة الاتصال بما قبلها وحين يراد بالرؤية الشاهدة ولذا يقدر المعطوف

عليه جملة محذوفة أي اكدبوا ، ولم يروا أي لم يشاهدوا مصارع المكذبين

وبينها آية الأنعام الفعل يرى بمعنى يعلم ويعتبر ويستدل فانظر كيف كان

ذكر حرف أو حذفه دالا على حشد من المعاني الخاصة التي تتعلق به ^(١)

وحيث يراد بالواو أو الفاء العطف لما قبله لما قبله لما قبله

الوضع الثانى من مواضع الفضل : كمال الاتصال :

بأن يكون بين الجملتين اتحاد تام ، وامتزاج معنوى كأنهما أفرغا في قالب واحد ، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها كأن تكون تو كيدا لها أو بمنزلة التوكيد اللفظى أو المعنوى أو عطف البيان .

والتلاحم هنا بين الجملتين قياسا على الاتصال الشديد الذى يكون بين المفردات فى التأكيد اللفظى أو المعنوى أو عطف البيان فلا يمكن العطف فى قولك : جاء محمد أو أنت أنت قائم : أو جاء محمد نفسه ونجح القوم كلهم وسجد الملائكة كلهم أجمعون . وقت الليل نصفه ، وذاكرت الكتاب ثلثه وجاء العالم محمد وتولى الخلافة أبو حفص عمر ، وذو النورين عثمان ، وفارس عدنان على رضى الله عنهم ، لأن التابع عين المتبوع والشىء لا يعطف على نفسه إذ لا مغايرة بينهما حتى تأتى بالواو وهكذا فى الجمل التى تكون على أسماء ثلاثة :

١ - أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد من الأولى ، دفعا لتوهم التجوز والغلط وهو قسمان :

أن تنزل منزلة التوكيد المعنوى ، فتفيد التحقيق والتقدير مع الاختلاف فى المعنى ، لكن يلزم من ثبوت معنى أحدهما ثبوت معنى الأخرى كقوله تعالى : « أ لم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين »^(١) فهذه ثلاث

(١) البقرة ١ ، ٢ وراجع الكشاف ١/٢٢٢ .

الجمليان حالين في محل نصب كانا بمنزلة للفرد^(١) وخرجا عما نحن فيه. ومنه قول الله تعالى: « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون »^(٢) قال الخطيب: لأن قوله: إنا معكم: معناه النبات على اليهودية، وقوله « إنما نحن مستهزئون » رد للإسلام ودفع له منهم، لأن المستهزى بالشئ المستخف به منكراً له ودافع له، لكونه غير معتقد به، ودفع تقيض الشئ تأكيذاً لثباته ويحتمل الاستئناف: أى فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد يعنى شبه كمال الاتصال. وليس المراد أنهم يهود بل مناقبون يتبعون اليهود في الكيد للإسلام، والاتقاء هنا بطريق المفهوم والازموم وفيه شاغل للذهن والفكر.

والقسم الثانى من التوكيد أن تنزل منزلة التوكيد اللفظى كقوله تعالى: « فهل الكافرين أمهلهم رويداً »^(٣) واللفظ متحد والمعنى أيضاً والتوكيد هنا بصور التهديد الحاد بالعقاب الأليم. وخالف بين اللفظتين زيادة في التمجير والتسلية.

الثانى مما يكون من كمال الاتصال: أن تكون الثانية بدلاً من الأولى والبديل بمعنى أن الجملة الأولى غير وافية تماماً بالمعنى المقفى به ككونه عجيباً ولطيفاً ومثيراً أو قطعياً فتأى جملة البديل لتكمل المراد وتستوفى المعنى قال تعالى: « وانتو الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات

(١) راجع دلائل الاعجاز ١٥٠ والكشاف ٢٢٠/٣ وبغية الايضاح

(٢) الآية ١٤ البقرة وراجع الكشاف ١٨٦/١ وبغية الايضاح ٧٣/٢

(٣) الطارق ١٧ وراجع الكشاف ٢٤٢/٤

وعيون^(١) ففي الجملة الأولى أحال ابتداءً الله عليهم بالنعم على عملهم لشد
عبودهم وأنفسهم في تأملها واستعراضها ثم عددها لهم مركزاً على أخطرها
فكأنه شغل حوامهم كلها في دعوتهم وأيجاد المعنى في صورتين ، والجملة
الثانية وهي تمثل بدل اليهضج **«إله في تسجيل النعم وتعديدها وهم لا يقرون
لا يملكون لها دفعا وقد تنزل الثانية مفزلة بدل الأشمال من متبوعه
كقوله تعالى :**

« اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم جرأ وهم مهتدون »^(٢) وغالباً
في القرى التي تدعى إلى الله نجد المترفين الأغنياء هم القادرة وهم أحرص
الناس على الدنيا والمال ، كقول الله في سورة الزخرف **« وكذلك ما أرسلنا
من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ،
وإنا على آثارهم متبعون »**^(٣) ولذا تكررت هذه الصفة كثيراً وهي أنكم في
اتباع المرسل لا تتخسرون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون صحت الاعتقاد وقد
وفت جملة البدل بالفرض من ناحية عدم الخسارة المادية ومن ناحية أن
الطلبى فيه في الهداية فهو خير كله . وقال تعالى : المؤمنون ٨١ ، ٨٣
« بل قلوا مثل مقال الأولون » قلوا **« أئذ منا وكنا تراباً وعظاماً أئنا
لمبعوثون »** والبدل هنا بصور هذا التمجيب والاستفراب من بينهم في حال
غريب هو كونهم تراباً وعظاماً .

(١) الشعراء ١٢٢ - ١٣٥

(٢) يس ٢١ ، ٢٢

(٣) الآية ٢٣

والثالث أن تكون الجملة الثنائية بيانا للاولى وتوضيحا وتفسيرا وهذا
يعنى أن في الأولى شيئا من الإبهام والغموض يحتاج إلى كشفه وإيضاحه
قال تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى « طه ١٣٠ فقد فصل جملة قال عما قبلها لكونها ترجمة عن
الوسوسة وتفسيرا لها .

ومنه : ما هذا بشر إن هذا ملك كريم « يوسف ٣١ ويجوز أن
يكون مؤكدا .

ومنه : « وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ،
يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم »
٤٩ البقرة .

فتذبح الأبناء واستحياء النساء تفسير وتوضيح لسومهم العذاب .
ومثله ٦ إبراهيم « وإذ قال موسى لقومه : اذكروا نعمة الله عليكم إذ
أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم » . قال الكرماني عليه رحمة الله « ذكر : يذبحون
بغير واو هيا (البقرة) على البديل من يهومونكم ، وفي الأعراف (يفتلون)
بدون واو وفي إبراهيم (ويذبحون) بالواو لأن ما في سورة البقرة والأعراف
من كلام الله فلم يرد تمديد المحن عليهم والذي في سورة إبراهيم كلام موسى
تمدد المحن عليهم (١) .

٥٦٧ ... ٦٢٢ ... ٦٢٢ ... ٦٢٢

(١) قال في المطول : حيث أثبتت الواو وجعل التذبيح متشكلا لأن
أوفي على جنس العذاب كأنه جنس آخر ولم يزد التفسير كالأول - ٢٥٧ مطول

وكان مأموراً بذلك في قوله « وذكركم بأيام الله »^(١) ويرى الشيخ عبد المتعال الصعيدى رحمه الله أن مواضع كمال الاتصال كلها يجب فيها ترك العاطف من ناحية النحو لامن ناحية البلاغة وهو ملقفت إلى البهاء السبكي في هذا ونظيره كمال الانقطاع السابق وهذا شيء كأنه خارج على الإجماع البلاغى دون مبررفى . وسبق أن البلاغة استمار لمعانى النحو والناس لأسرار التراكيب المصممة على السنن النحوى ، وما البلاغة إلا علاقات النحو في صورة راقية من التعبير ، ثم إن النحو أو غيره لا يمنع - حين يقتضى المقام - أن تكون الجملة المؤكدة معطوفة بالواو - والأصل كمال الاتصال وهو اقتضاء قوى يخرج عن عموم القاعدة وهى أن الشئ لا يطف على نفسه ، تأمل قول الله تعالى عن بلقيس « قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » النمل ٣٤

والجملة تأكيد تبين أن ذلك الإفساد عادة ثابتة مستمرة لا تتغير^(٢) وقال تعالى « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » آل عمران ٤٣ قيل كرر « واصطفاك » على سبيل التوكيد والمبالغة وقيل لا توكيد وللزخمشرى رأى وهو اختلاف الاصطفائين اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك ورباك ، واختصك بالكرامة والظهاره مما قذفك به اليهود ، واصطفاك أخرا بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم

(١) ١٨٧٩ - ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٢ - ١٨٨٣ - ١٨٨٤ - ١٨٨٥ - ١٨٨٦ - ١٨٨٧ - ١٨٨٨ - ١٨٨٩ - ١٨٩٠ - ١٨٩١ - ١٨٩٢ - ١٨٩٣ - ١٨٩٤ - ١٨٩٥ - ١٨٩٦ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨ - ١٨٩٩ - ١٩٠٠

(٢) ١٨٧٩ - ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٢ - ١٨٨٣ - ١٨٨٤ - ١٨٨٥ - ١٨٨٦ - ١٨٨٧ - ١٨٨٨ - ١٨٨٩ - ١٨٩٠ - ١٨٩١ - ١٨٩٢ - ١٨٩٣ - ١٨٩٤ - ١٨٩٥ - ١٨٩٦ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨ - ١٨٩٩ - ١٩٠٠

(١) أسرار التكرار ٢٧ .

(٢) الكشاف ٤٢٩/١ والبحر ٤٥٦/٢

يكن ذلك لأحد من النساء (١) وحسن هذا الرأي كثير من العلماء. وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت أفعدوا اتقوا الله » الحشر ١٨ .

كرر الأمر الثاني بالتقوى تأكيداً للاول أو لا تكرر لاختلاف التقدير في متعلق التقوى في الفعلين فالأول : اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي (٢) :

وقال تعالى « كذبت قباهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » القمر ٩ .
التكذيب لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد .

أو كذبوا تكديبا عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن فكذب (٣) وكان فيه استيعابا لهذا الامتداد الزمني المتطاول من تكذيب الأجيال بدليل « ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا » . نوح ٢٧ وكثير من الآيات التي أولها العلماء على أن المكرر فيها له دلالة خاصة أو معنى معين اهتماما بهذه الأحداث وأن لها هذا المعنى الجديد ، وفكرة التقابير الفعلي قواه السبكي فالمكرر الظاهري : اصطفاء ثان وتقوى ثانية وهكذا وقال « إن تسمية البهجة لها تأكيد مجاز لأن التأكيدي الاصطلاحي لا يفصل بينها وبين متبوعه » (٤) .

(١) راجع الكشف ١٤٧/٣ والبحر ٧٣/٧ .

(٢) الكشف ٨٦/٤ والبحر ٢٥٠/٨ .

(٣) راجع الكشف ٣٧/٤ .

(٤) عروس الأفراح ٨٨/٣ .

وقد وضع الخفاجي القضية ونقل أن قولك « وحقك ثم حقك »
للغالب يقتضى للتغاير ويفزل التغاير بين المؤكد والمؤكد منزلة التغاير بين
الذاتين ، بوجه خاطئ ، ولا يدعى التغاير الحقيقي كقوله تعالى « كذبت
قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » أى كذبوه تكذيبا عقب تكذيب
قال ابن مالك فى التسهيل « فصل التوكيد بتم - إن آمن اللبس - أجود
من الوصل وذكر بعض النحاة الفاء والزخشرى الواو فى الجائية واتفق
النحاة أنه تأكيد اصطلاحى وكلام أهل المعاني فى اطلاقه غير سديد »^(١)

وآية الجائية « إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين »^(٢) قال فى الكشاف
« زيد تى ماسوى الظن تأكيد بقوله « وما نحن بمستيقنين »^(٢) وإن كان
اللفظ مختلفا فهو تأكيد للمفهوم .

وقد تداخل مع عطف التأكيد عطف المكرر وهو منحصر فى القرآن
على أوجه : تكرار اللفظ أو الفعل كقوله : « كى نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا » طه ٣٣ ، ٣٤ وما سبق قريبا وتكرار للتعبير نحو - و
« الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة » الحاقة ١ - ٤ .

وكذلك أو التارة وقال تعالى « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى »
للقيامه ٣٤ ، ٣٥ ولا يسمى تأكيد لأنه لم يجرى على صورة التأكيد من
الاتصال ، وعدم الفصل ، بين المتبوع والتابع ، ومنه تكرار القصص

(١) راجع الشهاب ٨/٩٠ وبغية الايضاح ٢/٧٦ .

(٢) الكشاف ٣/٥١٤ .

القرآني ، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عدا بعض القصص كقصة يوسف ، والخضر وذى القرنين وأهل الكهف ، والتكرار مختلف عن التأكيد فهو لا لتصوير المعنى فحسب بل هو للتأسيس وإفادة معنى جديد وإن رأى كثير أن التكرار للتأكيد في الآية : « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » التكاثر ٣ ، ٤ .

الجملة الثانية تأسيس لإبلاغ الثانية في التهديد والإنشاء قال الزمخشري « وتم » دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد يريد بأبلغ من البلاغ والأداء لا البلاغة وتقل المفسرون عن الإمام على كرم الله وجهه : « كلا سوف تعلمون في القبور . ثم كلا سوف تعلمون في البيت غير ما بينهما بحسب المتعلق وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان (١) .

وقالوا في قوله تعالى « فهل الكافرين أمهلهم رويدا » الطارق ١٧ غير بين اللفظين صياغة لزيادة التسكين والتعبير والتسليمية للنبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقضية المكرر في القرآن واسعة متشعبة ليس هذا مجالها ونكتفي بما لقول بأن المكرر مطلقا سواء تداخل مع التأكيد أم انفرد عنه وسواء واقع عند العلماء أم اختلف عنه التكرار في أغلب مواطنه نازل على

(١) راجع الكشف ٤/٤٨١ والبخر ٨/٥٠٨ .

(٢) راجع الكشف ٤/٢٤٢ .

مقتضى المقام ، ونسمح لأنفسنا باستعمال التعبيرات المجازية فنقول : حين يحمى الموقف ويتوتر المقام ، وتتداخل المشاعر للنارة ، ويحتد الأسلوب ويتوهج الانفعال وينفشر ويترقى الحديث صاعداً على النبرة ، جهير النغمة ، ولذا يتكرر التعبير ليمتدح فيه الانفعال بحيث لو حذف المكرر لكان التعبير مبتوراً كصيغة لم تتم ، أو جملة لم تكتمل ، ويتضح هذا في مقامات التهويل والتفخيم والتعظيم بمهول معظم لا يدرك كنهه ، إنذاراً ملتهباً كما سبق في « الحاقة ما الحاقة » « القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » القارعة ١ - • وله مواقف أخرى كثيرة كقيام الدعوة إلى الله . حين ينتشر شعور الأمن والوعد والحب والحرص الأبيض المتلف على إيمان المدعويين ، إن نبض الداعية وأشواق فزاده تنعكس على الألفاظ إشعاعاً إيمانياً حنوناً فيتكرر البداء دوماً يا قوم مثلاً « وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدمكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » ظفر ٣٨ ، ٣٩ .

وانظر : التكريم وعفو الرحيم الودود وقامل موقع « ربك » في النسق وما يؤديه من معاني الربوبية والتربية والنعمة والود والحث على التوبة « ثم إن ربك للذنب عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم » النحل ١١٩ .

أما تكرار الفعل في جملة مطبوعة في الآية أو في آية مستقلة فالعلماء على أنه لا تكرار لاختلاف المتعلق كما سبق في آية مريم « إن الله اصطفاك » وآية التفرغ : اتقوا الله ولتنظر نفس ٠٠٠ « وآية التكاثر

وفي آية مستقلة مكرزة كما في سورة الرحمن « فبأى آلاء ربكما تكذبان »
التي جاءت إثر كل نعمة ظاهرة أو خفية ترغيباً في الاعتراف بها والشكر
عليها قال السمي لو كان ما يعود إليه الشيء واحداً لما زاد عن ثلاثة لأن
التأكيد لا يبالغ بأكثر من ثلاثة أما هنا فقد ذكر الشيء في مقامات
متعددة (١) .

واتفق النحاة على أنه تأكيد اصطلاحى وكلام أهل المعاني في إطلاقه
غير شديد (٢) .

الثالث : - شبه كمال الانتطاع : وهو أن يفصل بين الجملة الثانية ،
والأولى لأن عطفها يوم عطفها على غيرها ، ويوم . معنى غير مراد .
كقول الشاعر :

وتظن سلمى أنى أبفى بها - بدلا أراها فى الضلال تهم
فلم يقل « وأراها » وهو احتمال أو افتراض لا يتقبله البيت لثلاثا يقوم
السامع أنه مطوف على أبفى وهو غير مراد ، والبيت يحتمل الاستئناف
لهجه كمال الاتصال . ومنه :

يقولون إنى أحمل للضم عندم أعوذ بربى أن يضام نظيرى
ومنه على رأى قول الله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم
إنما نحن مستهزئون الله يستهزى بهم » الآية ١٤ فلو قال : والله : لاؤم

(١) راجع غروس الأفرح ٢/٢١٩ والبرهان ٣/٢٢ والافتان ٣/٢٢٩

(٢) راجع شروح التلخيص ٣/٨٨ والبغية ٢/٣٦ والشهاب ٨/٩٠

العطف على جملة قالوا ، والشرط قيد ويكون المعنى : أن الله يستهزئ بهم
وقت خلوم بشياطينهم وهو محال . أو يوم العطف على جملة : انا معكم ،
وهي مقول القول ويكون المعنى أن استهزاء الله بهم من مقولهم . وهو أشد
احالة وتمزيقا للمعنى . وهذا يحمل للقطع لا قيمة له ، بل الاستئناف هنا
لدحض الكلام ونقضه (١) .

الرابع من مواطن الفصل : شبه كمال الاتصال :

وهو المسمى بالاستئناف البياني ، فالجملة الثانية بمنزلة المتصلة بها أي
الجملة الأولى ، لكونها جوابا لسؤال اقتضته الأولى ، فتنزل الأولى منزلة
السؤال والثانية جواب يتصل ويلتحم بالأولى دون عطف وهذا الموطن
أهم مواطن الفصل وجل الكلام عليه ، ويكثر فائقا الحصر والعذ في
القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام البلاغ ، لأنه أسلوب نفس ،
يشترط المخاطب في ترقب الأسلوب وصياغته فالجملة الأولى دائما تكون
مكتنزة فيها بعض من الظلال والغموض الخفيف ، أنها ليست واضحة
جدا بحيث يمكن الوقوف عنها والسكوت عندها . بل تثير فيضا من
الاستفسارات والاستفهامات . تنار حتما في نفس المتلقي ، تجذبه وتشركه
في الصياغة ويكتفي الأسلوب بما يثيره فلا يظهر مصرحا به ، بل يظل
مكتنوا في الأسلوب والضمير في منطقة الظل ثم تأتي الجملة الثانية تجيب
عن السؤال ، وتطفى أشواق النفس أو ترى ظمأها ، وتشبع هذا التطلع

(١) راجع المطول ٢٥٧ ودلالات التراكيب ٢٤٣ .

العاظم للمجهول فيبدأ كد المعنى من الناحية العقلية ويحقق المتعة النفسية واشباع حاسة الفن والجمال ولذا قال الشكاكي :

لا يصر إلى هذا الأسلوب إلا لأسرار ونكات عالية . وهنا شيء آخر نحسه دائماً في الأساليب التي تبني على الحذف ، أو التقدير أعني توزيع الذكر والحذف في العبارة بتفتن يشبه توزيع التلوين والظلال . في اللوحة الفنية ومن ثم اعتدنا أن نعد الحذف أو التقدير منطقة مظلة في العبارة تنير وتشوق ، وتعم وتربط التراكيب في سبك جيد واتصال قوى يرى العجول ظاهره فيعتقد أن الأسلوب لا باطن له ، ولا خبيء ويكثر هذا في مواطن التقابل في القرآن ، لأن كثرة من النماذج البشرية القرآنية متقابلة متصلة بعضها ببعض لا تفصل كل مؤمنين بأقسامهم من متقين وأبرار وسوامم والكافرين من مشركين ويهود ونصارى والمبائعين بسماهم وصفاتهم ، ومعرفة صفات كل نوع وجزائه يستلزم عقلاً ، وعرفاً واهتماماً نفسياً والتطلع إلى معرفة المقابل وما له عليه ، مما فيه من تصوير كاشف وتأكيد موضح ، تأمل الآية « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » جاءت مفصلة عقب ذكر المتقين وجزائهم ، أول سورة البقرة على سبيل الاستئناف وأنه تبني على تقدير سؤال — كما يقول الشهاب . وذلك إدراج له في حكم المتقين ، تابع له في المعنى — وإن كان مبتدأ في اللفظ وهو في الحقيقة كالجارى عليه .

وقد فصل ذلك شيئاً شريفاً في حاشيته على الكشاف والسعد في المألوف

وعلى هذا فليس الشيخ دراز أول من جعل القلع هنا الاستثناء كما ذهب
بعض المعاصرين (١).

وحين يكون التصدد إلى الاستقلال والمغايرة تأتي الواو كقوله تعالى :
« إن الأبرار لفي نعميم ، وإن الفجار لفي جحيم » والاستثناء على
ثلاثة أضرب :

١ - السؤال عن سبب الحكم مطلقاً . بأن تجعل الجملة الثانية جواباً
عن سؤال عام تقديره : ماهو ؟ أو لماذا أو ما السبب ؟ فهو سؤال عن المتصدد
كقول الله « ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم » وقيل
هذا النوع من النوع الثاني الآتي ، وقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا
من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » ومنه « وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين
من قبلهم . وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمناً : يعبدوني لا يشركون بي شيئاً » .

وقال الشاعر :

وقد غرضت من الدنيا فهل زمني معط حياتي لعز بعد ما غرضت

جربت دهرى وأهليه فما توقرت لعل الشجار يفي واد صرى وغرطذا

وقد غرضت من الدنيا فهل زمني معط حياتي لعز بعد ما غرضت

(١) راجع الكشف بخطبة للشنينة ١/١٥٠ والمطول ٢٥٩ والنبأ
العظيم ٢٢١ ودلالات التراكيب ٣٥٨ .

وغرقت : ضجرت والفر : الفاضل أى غرة جاهل لم يجرب مثلى ،
وقد فصل جملة : حرمت : لأنها سبب عام لضجره من الدنيا .

٢ - السؤال عن سبب خاص : كقول الله تعالى : « وما أبرىء
نفسى إن للنفس لأماراة بالسوء » وذلك أن الجملة الأولى وهى على رأى من
قول سيدنا يوسف ، أثارت سؤالاً خاصاً . فيه تعجب واستعجاب ؟ .

لماذا لا يبرىء نفسه ، هل النفس أماراة بالسوء ؟ فكان الجواب :
إن النفس لأماراة بالسوء . وفيه تأكيدان : إن واللام : قالوا ليس هنا
إنكار ولكن تأكيداً لأنها لأن الخبر طلبى ، وتأكيدها من انفرادية الحكم
وصدوره من نبي مصدوم وإن كان حكماً ينطبق على كل نفس^(١) قال
الخطيب : ومـ هذا الضرب يقتضى التأكيد ، يعنى لأنه خبر طلبى وقد جاء
الأسلوب غير مؤكّد في قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على كاسك كلاً ما أهلىه بأخريته

قل للشاكتين بنا : أمية وأمة يلقى الشاكتون كما لقيت

هكذا قال الشيخ عهد المتعال الصعدي^(٢) ويمكن الرد بأن السين هنا

(١) ولما جاءها الأيسر ففعلت والاما رحمهم ربى أى رحمة من المنفوس
والمستثنى نفس يوسف واضرابه والمراد هضم النوع البشرى اعترافاً بالعجز
لولا العصمة الشهاب ١٨٧/٥ .

(٢) بقرينة الإيضاح ٨٠/٢ وفى المعنى أى السين عيبه الذى يغشوه إذا
دخلت على ما يفيد الوعد أو الوعيد يقتضى تأكيداً كقوله تعالى فسوف تكفون
الله اولئك سيرحمهم الله ١٣٩/١ .

للتأكيد على رأى الزمخشري والتأكيد عموماً للاستحسان كما قال السعد
فإذا قلت : اعبد ربك : إن العبادة حق : فهو جواب لسـؤال خاص .
وإذا قلت : العبادة حق : فهو لمطلب السبب وقد تأنى فاء الاستئناف :
لتكون الجملة جواباً عن مطلق السبب فنقول : فالعبادة حق ومن السؤال
الخاص : ولا تخاطبني في الدين ظلموا أنهم مفرقون » وقال « إني جزيتهم
اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون » .

٣ - أن تكون الجملة الثانية جواباً عن غير السبب عن شيء آخر
له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسبب يقول الله تعالى عن الملائكة ،
وإبراهيم : قالوا سلاماً . قال سلام ؟ أى ماذا قال لهم إبراهيم في جواب
سلامهم . فقيل : قال : سلام . حياهم بأحسن من تحيتهم ، لأن تحيتهم
كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث أى مسلم سلاماً ، وتحيته بالإسمية
الدالة على الثبوت والدوام أى سلام عليكم ^(١) وهذا اللطف يكثر في
مجاورات القرآن ، وبخاصة تلك المجاورات التي فيها جدال وحدة وتحفز
وإثارة ومغالبة . وتختلف شيئاً من هذه المجاورة الاتقالية بين نبي الله
موسى عليه السلام ، وعدوه فرعون : من سورة الشعراء : « قال فرعون :
وما رب العالمين ؟ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين
قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال :
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قاله رب المشرق والمغرب . وما

(١) انظر شروح التلخيص ٦٠/٣ .

بينهما إن كنتم تعقلون . قال . إن اتخذت إليها غيري لأجملتك من
المسجورين . قال : أو لو جئت بك بشئ . مبين ، قال فأت به إن كنت من
الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، (١) . والسؤال في هذا اللون
قد يكون عن الفاعل أو غيره من مشتملات الجملة الأولى كقول الوليد بن
يزيد الأموي :

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنان عسوف الويل عطال

وعفا : درس . والحنان : السحاب ، وعسوف الويل : شديد المطر
والسؤال هنا عن الفاعل لهطاء وقال المتنبي :

وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا
فلما نفي أن تكون الرياح قد محت منازل الربيع ، وجعلته خرابا كان
مظنة أن يسأل عن الفاعل وقد عينه . بأنه هجران الأحياء وارمحاهم على
إبل محذوها السائقون .

وهناك تقسيم آخر للاستئناف مرتبط بالتقسيم الأول :

فالاستئناف أو الجملة المستأنفة قد تأتي بإعادة اسم ما استأنف عنه
ويكون رابطا بين الجملتين نحو : أحسنت إلى زيد : زيد حقيق بالإحسان
وأبلغ منه ما يبني على صفته نحو أحسنت إلى زيد حديقك للتقديم أهل
للإحسان ، وهو مشتمل على الصفة منطوق على بيان السبب ، إذ الوصف

(٢) الآيات ٢٣ - ٢٢ . [٢٢٠] .

هالة للحكم ، وقد يعقب المستأنف عنه في الجملة الأولى بصفات ، ثم يذكر في الاستئناف باسم الإشارة مبيناً - كما يترتب على الصفات - كقول الله تعالى :

« ... والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك : وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (١)
ونحو : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بحنتهم جنتين » ذواتي أكل خبط ، وأئل ، وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناكم بما كفروا » (٢)

وما أعيد فيه الاسم ؟ « وإذا نقلى عليهم آياتنا بينات ، تعرفوا في وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار ، وعندما الله الذين كفروا وبئس المصير » (٣)

فهو يصف في دقة بالغة ، حنقهم وغيظهم المتلظ حين يسمعون آيات القرآن ، يكاد الاجرام والقهر يذفعهم إلى الإيقاع والاعتداء الفاعظ على من يتلو القرآن ؟ ثم يصعد القرآن المعنى على طريق السخرية من عنف أفعالهم - وانقلاب سخيم : أنبئكم بما هو أشد خطراً ؟ وثمرا ؟ في نظركم ؟ استفهام حاد يثير استفهاما هاما عن هذا الأخطر ؟

(١) البقرة ٤ ، ٥٥

(٢) سبأ ١٦ ، ١٧

(٣) الحج ٧٢

بمعاني الجولب موجزا مركزا مكهنزا ، كلمة واحدة كطلقة يدفع القار
وهي بوقتها للخييف الفاقد تثير سؤالا آخر : ما شأنها : فيكون الجواب
والحكم الفاقد « وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير » وقد حذف هنا
مصدر الاستئناف أو المبتدأ وبقى الخبر . ومعناه : « يسبح له فيها بالقدو
والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » (١) على
قراءة ياء . يسبح للفعول ؟ أي يسبحه رجال . (٢)

ففيه اكتفاء أي الحذف من كل جملة بما يقابل مذكورا في الأخرى
مع حذف السؤال المقدر فكان مواطن التظليل تكثر وظى النفس
صلوها باسموا كما لها ، واستعمال التقواها :

والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »
والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »
والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »

والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »
والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »
والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »

والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »
والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »
والجاء في قوله تعالى « ولا يظنوا أنهم آمنوا بما لا يبذلون بالقرآن »

(١) ٣٠٥٠
(٢) ٣٠٧٢
(٣) ٣٠٧٧

النور ٣٦ ، ٢٧ .
(١) شروح التلخيص ٦٤/٣ .

مواطن الوصل :

وهما موطنان :

١ - كمال الانقطاع مع الإيهام

بمعنى أن تختلف الجملتان : الجملتان خبرا وإنشاء الفصل يوم بخلاف المقصود . كقول سيدنا أبي بكر لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ قال : لا عافاك الله ، قال : لقد علم لو كنتم تعلمون . قل لا وعافاك الله ، وفي رواية : لا ويرحمك الله - ومن الأدب النبوي حديث الأعرابي الذي جبد الرسول صلى الله عليه وسلم جبذة عنيفة من طوقه ، حتى حر رقبتة . وقال : احمل على بعيري هذين فأنت لا تحمل لي من مالك ولا من مال أهلك - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله » (١) قالوا : وسأل هارون الرشيد وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة ، فسر به ، وقال الصاحب بن عباد الوزير الأديب المتقن تعليقا خفيف للظل : هذه الواو أحسن من الواوات في حدود الملاح : يريد خصل الشعر المتدلية على الوجنة أو العذراء :

وهذا الظواطن لا يوجد له شاهد قرآني والحسن فيه محدود .

٢ - الوطن الثاني : التوسط بين الكمالين : أي التوسط بين كمال

(١) الخلفاء (١) ٧٧ : ٣١

(٢) (١) ٧٧ : ٣١

(٣) ٧٣١ - السنتا (١)

(٤) (١) ٧٧ : ٣١

(٥) (١) ٧٧ : ٣١

بالانقطاع وكمال الاتصال وهو ضربان :

(١) التاج ٦٥/٥

الأول : أن يتفقا خبرا وإنشاء ، لفظا ومعنى مع وجود الجامع كقوله تعالى « إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ^(١) . وقوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى » ^(٢) . وقال : يخادعون الله وهو خادعهم ^(٣) ونحو : « كلوا واشربوا ولا تمسرفوا » ^(٤) والعطف هنا : يعنى المناسبة الخاصة المبررة للعطف ، ويعنى أيضاً المماثلة والمخالفة بينهما واستقلال كل معنى بذاته .

الثانى : أن يتفق الجملتان فى الخبرية ، أو الإنشائية معنى فقط والواقع أن المعنى الخبرى أو الإنشائى هو الأهم ، والصورة الشكلية خبرا وإنشاء ليست مقصودة لذاتها ولذا فهذا التقسيم عند الخطيب لا يفيد كثيرا ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى ، والمساكين ، وقولوا للناس حسنا » ^(٥) عطف قولوا على : لا تعبدون لأنه بمعنى اعبدوا .

وقد ترى فى اختلاف الصياغة فرق ما قالوه : من يناسب الصياغة مع أهمية الحدث وخطورة الدعوة إليه ، فبدأ بالمبادأة جاعلا الأمر فى صورة المضارع ليحقق أولا معنى التصر على الله وحده ، وإظهار المبادأة فى صورة الخبر كأنه سورخ إلى تنفيذه وقوه فهو يخبر عنه كما مر فى المجازى . ثم

(١) الانفطار ١٣ ، ١٤ .

(٢) الروم ١٩ .

(٣) النساء ١٤٢ .

(٤) سورة الأعراف ٣١ .

(٥) البقرة ٨٣ .

اختار المضارع المفيد للاستمرار وهو استمرار ينظم الحاضر والمستقبل يعنى :
لا تستمروا على العبادة الكاملة لإلا لله وحده ، ولما كان الإحسان إلى
الوالدين يلى فى الدعوة القرآنية عبادة الله لأنه ضرب من رد الجميل كما قال
الله «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً» (١) «وقضى ربك
ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» (٢) ولاحظ حين أتى بالعبادة فى
صورة الأمر كرر الجملة مؤكداً للعبادة بنفى نقيضها أو النهى وهو الإشراك
و حين أتى بالنهى فى الآية الثانية «وقضى ...» جاء به فى صورة التقصر ،
مسموقاً بالحكم النافذ والأمر المتضى «وقضى» أقول : لما كان البر
بالوالدين هذه منزلته : إلتزم فى كثير من نصوص القرآن : هذه العبارة
وبالوالدين إحساناً : أو ما يعادلها .

ووصينا الإنسان بالديه إحساناً ، أو حسناً «فقدّم المتعلق : الوالدين
وأتى بالمصدر مراداً به الأمر إحساناً أو الفعل محذوف تقديره . أحسنوا
أو تحسنون ، مبالغة فى التأكيد ، وإن كان أقل من التأكيد فى عبادة
الله ، ثم تلت بالأمر الأخير . وهو قول المعروف أو قول الحسن للناس على
طريقة الأمر الإرشادية ، كثمرة للعبادة وطاعة الوالدين أو ثمرة للنفس التى
ترتبت على العبادة والتقوى والخير والبر ، جزاء حتى صار طبعاً أى
الإحسان لمن يستحق كالوالدين ، وابتداءً فى كل معاملة وسلوك . قولاً
وعملاً ، لأن القول دليل العمل .

ويفهم من عطف الإنشاء على مثله — والخبر على نظيره أن الخبر

(١) النساء ٣٦ .

(٢) الاسراء ٢٣ .

لا يعلق على الإنشاء ، وقد مرت بك هذه القضية ورأى الإمام القزويني
حتى تظل القواعد البلاغية قائمة - التقدير بمعنى أننا نقدر في سورة -
الصف . وبشر الصابرين الذين آمنوا . معطوفا عليه أي . فانذرهم ، وبشر
وفي قوله تعالى « لأرجنك واهجرني مليا » . أي فاحذرني واهجرني كما
قدر الزمخشري^(١) وقد سبق ذلك بالتفصيل وهو في نهاية الأمر لا يحصل
الفصل بين الخبر والإنشاء قاعدة تامة للسلامة ، تستوفي كل الأماليب ...
والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة في رمضان العظيم ١٤٠٦ هـ

(١) بغية الايضاح ٨٧/٢ .

مراجع البحث

- ١ - الابهاج في شرح المنهاج للامام علي بن عبد الكافي السبكي
- ٢ - الاتقان : السيوطي •
- ٣ - أثر النحاة في البحث البلاغي : د. عبد القادر حسين •
- ٤ - الاستغناء في أحكام الاستثناء : شهاب الدين القرافي •
- ٥ - أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني •
- ٦ - أسرار ترتيب القرآن :
- ٧ - أسرار التفكير : الكرمانى •
- ٨ - أساس البلاغة : الزمخشري •
- ٩ - الأسس الجمالية د. عز الدين اسماعيل •
- ١٠ - أسس النقد الأدبي د. أحمد بدوى •
- ١١ - الأسلوب : الشايب •
- ١٢ - أساليب الاستقهام في القرآن الأستاذ عبد العليم فودة •
- ١٣ - الأطول : العصام •
- ١٤ - الأعجاز البلاغى : د. محمد أبو موسى •
- ١٥ - الأعجاز البياني د. بنت الشاطيء •
- ١٦ - الأعجاز في دراسات السابقين : الأستاذ عبد الكريم الخطيب
- ١٧ - اعجاز القرآن : للباقلانى •
- ١٨ - اعجاز القرآن : الراقعى •
- ١٩ - الأخصى القريب : التتوخى •
- ٢٠ - الأمالى الشجرية : ابن الشجرى •
- ٢١ - أمالى المرتضى •
- ٢٢ - أمين الخولى في مناهج تجديده : د. كامل سعفان •

- ٢٣ - أنوار الربيع : ابن معصوم المدني •
٢٣ - الايضاح / القزويني •
٢٤ - الايمان / ابن تيمية •
٢٥ - البحر المحيط / أبو حيان •
٢٦ - بدائع الفوائد / ابن قيم الجوزية •
٢٧ - البديع / ابن المعتز •
٢٨ - بديع القرآن : ابن ابي الاصبع •
٢٩ - البرهسان : الزركشي •
٣٠ - بصائر ذوي التمييز / الفيروزبادي •
٣١ - البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف •
٣٢ - بلاغة العطف في القرآن د. عفت الشرقاوي •
٣٣ - البلاغة القرآنية : د. محمد أبو موسى •
٣٤ - البيان العربي : د. بدوي طبانة •
٣٥ - البيان والتبيين : الجاحظ •
٣٦ - تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة •
٣٧ - تحت راية القرآن : الرافعي •
٣٨ - تحفة الأريب : أبو حيان •
٣٩ - ترجيح أساليب القرآن : محمد بن المرتضى اليماني •
٤٠ - التصوير الفني - سيد قطب •
٤١ - تفسير أبي السعود : ارشاد العقل السليم •
٤٢ - تفسير الألويسي : روح المعاني •
٤٣ - تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب •
٤٤ - تفسير الرازي : التفسير الكبير •
٤٥ - تفسير سورة النور : ابن تيمية •
٤٦ - تفسير سورة الفاتحة : محمد عبده •
٤٧ - تفسير الطبري جامع البيان •

- ٤٨ — تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة •
- ٤٩ — التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أنيس التدوي •
- ٥٠ — تفسير الكشاف : الزمخشري بحاشية السيد •
- ٥١ — تفسير النيسابوري : غرائب القرآن •
- ٥٢ — تقرير الامبابي •
- ٥٣ — جواهر البلاغة : الهاشمي •
- ٥٤ — جوهر الكنز لنجم الدين احمد بن الأثير •
- ٥٥ — حاشية الدسوقي •
- ٥٦ — حاشية السيد على الكشاف •
- ٥٧ — حاشية السيد على شرح الكافية •
- ٥٨ — حاشية الشهاب على البيضاوي •
- ٥٩ — حاشية عبد الحكيم •
- ٦٠ — الحيوان للجاحظ •
- ٦١ — درة التنزيل : الاسكافي •
- ٦٢ — درة الغواص : الحريري •
- ٦٣ — دفاع عن البلاغة : الزيات •
- ٦٤ — دقائق التفسير لابن تيمية جمع د. محمد السيد •
- ٦٥ — دلائل الاعجاز عبد القاهر •
- ٦٦ — دلالات الالفاظ د. ابراهيم انيس •
- ٦٧ — دلالات التراكيب د. محمد ابو موسى •
- ٦٨ — الرمز والرمزية د. محمد فتوح •
- ٦٩ — الرمزية في الأدب : درويش الجندی •
- ٧٠ — لروض الأنف : أبو القاسم السهيلي •
- ٧١ — سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي •
- ٧٢ — شرح المفصل لابن يعيش •

- ٧٣ — شرح الكافية للرضي •
- ٧٤ — الصناعتين للعسكري •
- ٧٥ — الصورة الفنية د. جابر عصفور •
- ٧٦ — ضياء الدين بن الأثير د. زغول سلام •
- ٧٧ — الطراز لنعلوى •
- ٧٨ — المظاهرة القرآنية : مالك بن نبي •
- ٧٩ — عبد القاهر الجرجاني : د. أحمد بدوي •
- ٨٠ — عباس العقاد ناقدًا د. عبد الحى دياب •
- ٨١ — علوم البلاغة : المراغى •
- ٨٢ — العمدة : ابن رشيق •
- ٨٣ — عيار أنشعر ابن طباطبا •
- ٨٤ — غريب القرآن : السجستاني •
- ٨٥ — الفن القصصى فى القرآن د. محمد خلف الله •
- ٨٦ — فى النقد الأدبى د. شوقى ضيف •
- ٨٧ — فوائد فى مشكل القرآن : عز الدين بن عبد السلام •
- ٨٨ — قضية الاعجاز القرآنى د. عبد العزيز عرفة •
- ٨٩ — قضايا النقد د. العشماوى •
- ٩٠ — القاموس المحيط •
- ٩١ — الكتاب سيبويه •
- ٩٢ — لسان العرب ابن منظور •
- ٩٣ — اللغة الشاعرة : العقاد •
- ٩٤ — المثل السائر لابن الأثير •
- ٩٥ — المحصول للرازى •
- ٩٦ — مدخل الى علم الأساوب : د. شكرى عياد •
- ٩٧ — مدخل الى القرآن : د. محمد عبد الله دراز •
- ٩٨ — شاهد القيامة •

- ٩٩ - المطول سعد الدين التفتازانى •
١٠٠ - معترك الأقران : السيوطى •
١٠١ - معجم ألفاظ القرآن : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •
١٠٢ - معجم المصطلحات البلاغية ط د • أحمد مطلوب •
١٠٣ - المعجم المفهرس احمد عبد الباقي •
١٠٤ - معجم مقاييس اللغة ابن فارس •
١٠٥ - معنى لا اله الا الله رسالة للزركشى •
١٠٦ - معانى الحروف للرمانى •
١٠٧ - معنى اللبيب لابن هشام •
١٠٨ - مفتاح العلوم : السكاكى •
١٠٩ - مفردات الراغب •
١١٠ - من أسرار اللغة د • ابراهيم أنيس •
١١١ - من الاعجاز البلاغى د • صباح دراز •
١١٢ - من بلاغة القرآن د • أحمد بدوى •
١١٣ - منهج الزمخشري فى تفسير القرآن د • الجوينى •
١١٤ - من الوجهة النفسية د • محمد خلف الله •
١١٥ - النبأ العظيم د • محمد عبد الله دراز •
١١٦ - نظم الدرر البقاعى •
١١٧ - نظرية اللغة فى النقد العربى د • عبد الحكيم راضى •
١١٨ - نقد النثر قدامة بن جعفر •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين آمنوا من عباده
الذين آمنوا من عباده
الذين آمنوا من عباده

الحمد لله الذي جعلنا من عباده
الذين آمنوا من عباده
الذين آمنوا من عباده
الذين آمنوا من عباده

المستعمل

غفر الله له ولوالديه

محتويات الكتاب

| صفحة | |
|------|--|
| ٣ | تقديم |
| ٩ | الفصل والوصل |
| ١٧ | الوصل بحروف العطف |
| ٢٢ | الواو بين المفردات |
| ٢٦ | صفات الله تعالى |
| ٢٩ | في الصفات البشرية |
| ٤٦ | الوليد بن المغيرة وصفات النعم |
| ٤٨ | عطف المتقاربات دلالة |
| ٥١ | الواو بين التشريك والربط |
| ٥٥ | الجامع بين القراءات والجملة |
| ٦٨ | الجامع الخيالي شاهد وتحليل |
| ٧٠ | مواطن الفصل |
| ٨١ | عطف الجملتين خبرا وانشاء |
| ٨٢ | الفعل نعم |
| ٨٨ | الواو بين الجمل المختلفة خبرا وانشاء ولا محل لها |
| ٨٨ | الفصل بشر |
| ٩٩ | النوع الثاني من كمال الانقطاع |
| ١٠٤ | الوضع الثاني من مواضع الفصل : كمال الاضمار |
| ١٢٧ | مراجعة البحث |
| ١٣٣ | محتويات الكتاب |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

| رقم الكتاب | العنوان |
|------------|---------|
| ٧٠ | وقوعه |
| ٧١ | وقوعه |
| ٧٢ | وقوعه |
| ٧٣ | وقوعه |
| ٧٤ | وقوعه |
| ٧٥ | وقوعه |
| ٧٦ | وقوعه |
| ٧٧ | وقوعه |
| ٧٨ | وقوعه |
| ٧٩ | وقوعه |
| ٨٠ | وقوعه |
| ٨١ | وقوعه |
| ٨٢ | وقوعه |
| ٨٣ | وقوعه |
| ٨٤ | وقوعه |
| ٨٥ | وقوعه |
| ٨٦ | وقوعه |
| ٨٧ | وقوعه |
| ٨٨ | وقوعه |
| ٨٩ | وقوعه |
| ٩٠ | وقوعه |
| ٩١ | وقوعه |
| ٩٢ | وقوعه |
| ٩٣ | وقوعه |
| ٩٤ | وقوعه |
| ٩٥ | وقوعه |
| ٩٦ | وقوعه |
| ٩٧ | وقوعه |
| ٩٨ | وقوعه |
| ٩٩ | وقوعه |
| ١٠٠ | وقوعه |